كتب ثقافية

أساطير هيرودوت

بقلم

ا. ج. ايڤانس

ترجمة

شفيق أسعد فريد

أساطير هيرودوت

بقلم

ا. ج. إيفانس

ترجمة

شفيق أسعد فريد

الفصل الأول

أسطورة أيو وجايجس

فيما يلى أبحاث هيردووت ، وهو ينشرها راجياً بذلك المحافظة على ذكرى مافعله عظماء الرجال ، والحيلولة دون حرمان الأعمال العظيمة التى أتاها اليونانيون والبرابرة مما تستحقه من تمجيد ، وتسجيل الاسباب التى أدت إلى حدوث المنازعات بينهم

يقول ثقاة الفرس فى التاريخ أن الفينيقيين بدأوا النزاع ؛ فبعد أن هاجروا إلى البحر الأبيض المتوسط، واستقروا فى الأجزاء التى يقيمون بها الآن ، بدأوا يقومون بمغامرات تمثلت فى رحلات طويلة ، حملوا فيها سفنهم بسلع آشور ومصر . ونزلوا إلى البر فى أماكن كثيرة على الساحل ، وفى بقية بلاد آرجوس التى كانت أعظم الولايات التى تدخل الآن فى دولة هيلاس . وهناك عرضوا سلعهم ، وتبادلوا التجارة مع الوطنيين لمدة خمسة أيام أو ستة . وبعد أن انتهوا تقريباً من بيع كل ما كان معهم ، أقبل إلى الساحل عدد من النساء وكانت معهن أيو ابنة الملك إناخوس. ووقفت النساء عند مؤخرة السفينة وانهمكن فى الشراء، وفجأة أطلق الفينيقيون صيحة عظيمة ، وانقضوا عليهن، فهرب منهن عدد بينما قبض الفينيقيون على الباقين وأخذوهن معهم ، وأبحروا إلى مصر. وهكذا جاءت أيو إلى مصر، وكان ذلك ايذاناً ببداية سلسلة من الأعمال المعادية بين الفريقين

وفى مرحلة أخرى ، نزل بعض اليونانيين فى تاير على ساحل فينيقية، واختطفوا أوربية ابنة الملك وبذلك انتقموا لابنة ملكهم ولكنهم ارتكبوا عملا عدائياً آخر فيما بعد، فقد بعثوا بسفينة حربية إلى آى مدينة كوليخيس على نهر فاسيس، وبعد أن أتمت السفينة العمل الذى جاءت من أجله، اختطف ملاحوها «ميديا» ابنة ملك البلاد ، فأوفد الملك رسولا يطالب بإعادة ابنته ودفع التعويض ، ولكن اليونانيين أجابوا بأنه مادام الفينيقيون لم يدفعوا لهم تعويضاً عن اختطاف أيو فإنهم لن يدفعوا شيئاً . .

ويقول الرواة أنه ، فى العقد التالى ، قرر الاسكندر ابن بريام ، أن يتخذ له زوجة يختطفها من بلاد اليونان بعد أن اقتنع بأنه مادام اليونانيون لم يقدموا أية ترضية عما ارتكبوه من أعمال عدوانية ، فإنه لن يضطر إلى تقديم أية ترضية . واختطف الاسكندر فعلا هيلين اليونانية وعندئذ قرر اليونانيون أن يبدأوا بارسال وفد يطالب بإعادة الأميرة ودفع تعويض، ولكن الاسكندر رفض الطلب بدعـــوى أن اليونانيين سبق أن قاموا بمغامرات مماثلة ولم يدفعوا تعويضات عنها

وهكذا تكررت حوادث خطف النساء بين الفريقين ، الا أن الفرس كانوا يلقون اللوم على اليونانيين لما وقع بعد ذلك ، لأنهم أرسلوا جيشاً إلى آسيا قبل أن يقوموا هم بأى هجوم على أوربا. أما خطف النساء فكان فى نظرهم أعمالا فردية لاتستوجب نزاعاً حربياً ، وبالأخص لأن هؤلاء النساء لم يبدين اعتراضا على خطفهن ، ولكن اليونانيين لم يوافقوا على هذا الرأى وحشدوا جيشاً جراراً غزا آسيا وقضى على مملكة بريام، ومنذ ذلك الحين والفرس يعتبرون اليونانيين أعداءهم الألداء ، نظراً لأنهم كانوا يعتبرون آسيا بمختلف قبائلها البربرية ملكا لهم .

تلك هي القصة التي يسردها الفرس عن هذه الأمور ، وهم يرجعون عداوتهم لليونانيين إلى هجومهم على طروادة . أما قصة الفينيقيين عن أيو فتختلف عن قصة الفرس ، فقد انكروا أنهم استخدموا أى عنف لنقلها إلى مصر . وأنها ـ بعد أن صادقت ربان السفينة أثناء رسوها فى أرجوس خشيت أن يفتضح أمرها بعد أن حملت سفاحاً ، وقبلت الرحيل معه إلى مصر ، ولكننا لن نتعرض لهذا الموضوع بالتأييد أو النفى .

وانتقل عرش ليديا من أسرة هرا كليد إلى أسرة كرديوس بالطريقة التى سنسردها الآن . . كان الملك كاندوليس ، ملك سردلين ، يعرف عند اليونانيين باسم مايرسيلوس

واتفق أن كان كاندوليس هذا مدلها بحب زوجته ؛ وكان يعتقد أنها أجمل إمرأة فى العالم وأدى هذا الوهم إلى نتائج غريبة ، إذ كان فى حرسه الخاص رجل أسمه جايجس ابن داسيلوس وكان كاندوليس يحب هذا الشخص ويعهد إليه بالتصرف فى أهم الشئون ويصطفيه دون غيره من رجال حاشيته ولكنه لاحظ أن صفيه لا يأبه لجمال زوجته . فاغاظه ذلك ، ولما كان القدر قد كتب على هذا الملك أن يموت موتة بشعة ، فقد قال له ذات يوم « إننى ألاحظ أنك لا تهتم بجمال زوجتى ، لكن لما كانت آذان الرجال لا تصدق مثل أعينهم . فعليك أن تدبر وسيلة تمكنك من رؤيتها عارية » وهنا صاح جايجس مستنكراً اقتراح الملك ، ولكن هذا أصر على رأيه برغم ضراعة جايجس إليه ليعفيه من هذه المهمة البغيضة إلى نفسه ، وكان جايجس يخشى أن تكون فى الأمر مؤامرة ، فقال له الملك : « تشجع

يا صديقي ولا تظن إنني أستدرجك إلى فخ منصوب ؛ وثق أنك ان تضار إذا فعلت ما أطلبه منك لان زوجتي ان تعلم عن الامر شيئاً ، فسأوقفك خلف باب الغرفة التي ننام فيها وهو مفتوح ؛ وعندما أدخل لاستريح ، فإنها ستتبعني ، وهناك مقعد قريب من المدخل ستضع زوجتي فوقه قطع ثيابها قطعة بعد أخرى بعد أن تخلعها وبذلك يمكنك أن تتأمل جمال جسدها على مهل ، وحينما تتحرك مبتعدة عن المقعد مديرة لك ظهرها ، يمكنك أن تتسال مبتعداً بغير أن تراك .

وأسقط فى يد جايجس ، ولم يملك غير الاذعان .

إلا أن الحظ السيء شاء أن تلمح الملكة جايجس بعد أن تجردت من ثيابها ، ولكنها كانت امرأة أريبة داهية ، فلم تظهر لزوجها أية علامة تدل على أنها فطنت لما حدث ، ولكنها أصرت على الانتقام منه . فإذا كان الصباح ، وخرج الملك لتصريف شئون دولته ، إستدعت الملكة جايجس وخيرته بين أن يقتل زوجها ويتزوجها ، أو أن تقتله فى الحال ،

وعبثا حاول جايجس أن يثني الملكة عن عزمها ؛ ولما تبين له أنها مصرة على رأيها ، اختار الحل الأخير . وحينما جاء الملك إلى مخدعه فى تلك الليلة . كانت الملكة قد أخفت جايجس وراء الباب بعد أن أعطته خنجراً حاد النصل . وعندما استغرق الملك فى النوم . خرج جايجس من مخبأه وأغمد الخنجر فى قلب الملك . وبذلك آل إليه ملك كاندوليس وزوجته .

الفصل الثانى

أسطورة آريون

كان برياندر ابن كايبسلوس طاغية كورنثا ، ويقال أن حدثاً غريباً وقع فى عهده ؛ ويقول الرواة أن آريون من ميثايمنا كان يجيد العزف على القيثار بدرجة لا يفوقه أحد فيها ، وأن دولفينا حمله على ظهره إلى تانياروم .

كان آريون قد عاش أعواما طويلة فى بلاد برياندر ، عندما غلبه الحنين إلى إيطاليا وصقلية ، ولما كان قد أصاب كثيراً من الثراء فى تلك البقاع ، فقد قرر أن يعبر البحر إلى كورنثا ، فاستأجر سفينة كان بحارتها من أهل كورنثا ظنا منه أنه يستطيع الوثوق بهم ؛ وبعدأن أبحرت السفينة من تارنتم ، وخرجت إلى عرض البحر، تآمر البحارة على آريون وقرروا إلقاءه فى عرض البحر ، والاستئثار بثروته ؛ وحينما اكتشف آريون مؤامرتهم راح يتضرع لهم وعرض عليهم الاستيلاء على كل مامعه والابقاء على حياته ، ولكنهم رفضوا ، وخيروه بين أن يلقى بنفسه فى اليم ، أو أن يقتلوه ...

واختار الموسيقى الحل الأول ، وجلس عند مقدم السفينه ، وأمسك بقيثاره ، وراح يوقع عليه لحنا رائعاً . وعندما انتهى من توقيع اللحن ،

ألقى بنفسه فى الماء وهو يرتدى ثيابه الكاملة . . واستمرت السفينة فى طريقها إلى كورنثا ..

وتقول الأسطورة أن دولفنيا حمل آريون فوق ظهره » وذهب به إلى كورنثا ، وهناك ذهب لمقابلة الملك برياندر ، وروى ما حدث له ، فلم يصدقه الملك أول الأمر ، واحتجزه كيلا يهرب . وترقب وصول البحارة فى لهفة ، فلما وصلوا ، استدعاهم إليه ،وسألهم عن أنباء آريون، فقالوا إنهم تركوه فى إيطاليا متمتعاً بصحة جيدة ، وعندئذ ظهر آريون أمامهم بنفس الهيئة التى كان عليها حينما ألقى بنفسه فى البحر ، فبهت البحارة وادركوا أنهم من الهالكين ، ولكنهم اضطروا للاعتراف بإثمهم ..

الفصل الثالث

أسطورة سولون

عندما مات الياتس خلفه ابنه كرويسوس على العرش وكان فى الخامسة والثلاثين من عمره، وكانت أفسيوس أول مدينة يونانية تعرضت لهجومه عليها . وعندما ضرب حصاره على هذه المدينة وهب أهلها مدينتهم للإلهة ديانا وذلك بأن مدوا حبلا من سور المدينة إلى معبد هذه الالهة الذى كان يبعد سبعة فورلنج عن المدينة القديمة ، وقيل أنهم كانوا أول من هاجمهم اليونانيين ، وبعد ذلك تذرع كرويسوس بشتى المعاذير لغزو أيونيان وأيوميان ، إلى أن أصبح سيداً على جميع المدن اليونانية فى آسيا وأرغمها على أن تدفع له الجزية ، وبعد ذلك بدأ يبنى سفناً استعداداً لغزو الجزر. وعندما استكمل استعداداته لهذا الغرض . وفد بياس من بريئيه فوضع حداً لمشروعاته ، ذلك لأن الملك سأله ، وكان هذا الرجل قد عاد أخيراً من سرديس ، عما إذا كانت هناك أنباء من اليونان ، فأجاب الرجل أن سكان الجزر يجمعون عشرة آلاف جواد استعداداً للقيام بحملة ضده وضد عاصمة ملكه ، وخيل لكرويسوس أنه يقول الصدق ، فصاح : هل وضعت الإلهة فى أذهانهم أن يهاجموا أبناء ليديا بالفرسان !؟» فأجابه بياس : « يبدو أيها الملك أنك كنت شديد اللهفة على لقاء سكان الجزر

راكبي الجياد ، ولكنك تعلم حق العلم ماذا سينتج عن ذلك ؟ ! » .

وصمت الملك لحظة ، ثم قرر العدول عن الحملة ، وتوقف عن بناء السفن ، وأبرم معاهدة تحالف مع ايوني الجزر .

وعندما أضيفت جميع هذه الفتوحات إلى الامبراطورية الليدية، وبلغ رخاء سرديس ذروته ، جاء حكماء الاغريق الاحياء في ذلك الحين الواحد تلو الآخر ، ومن بينهم سولون الأثيني . . وكان سولون قد غادر أثينا منذ عشر سنوات مدعياً أنه يرغب في رؤية العالم ، ولكن الواقع أنه أراد أن يتجنب نقض القوانين التي وضعها للأثنيين ، بناء على طلبهم، وتعهدوا له بعدم نقضها بغير موافقته ، لأنهم تعهدوا بقبول الحكم على هدى هذه القوانين لمدة عشرة أعوام .

وخلال هذه الفترة ، زار سولون مصر ، وجاء إلى بلاط أمازيس، كما زار كرويسوس في سيرديس ، فاستقبله كرويسوس كزائر ، وآواه في قصره الملكي ، وفي اليوم الثالث أو الرابع لوصول سولون ، أمر الملك خدمه بأن يطلعوا الضيف على كنوزه وما تميزت به من فخامة وعظمة، وعندما تم لسولون رؤيتها ، القى عليه كرويسوس السؤال التالي :

« أيها الغريب القادم من أثينا ، لقد سمعنا الشيء الكثير عن حكمتك وأسفارك طلباً للمعرفة والرغبة في رؤية العالم ، ولذلك فإنني أود أن أسألك من هو أسعد رجل فيمن رأيت ؟ » .

وكان السبب الذى من أجله ألقى الملك هذا السؤال على ضيفه أنه

كان يعتقد أنه أسعد الناس . ولكن سولون أجابه بلا مبالاة : « إنه تيلوس من أثينا يامولاى » .

وبهت كرويسوس لما سمع ، فسأل بحـــدة : « ولماذا تعتبره أسعد الناس ؟ » .

فأجاب الضيف : « لأن بلاده ازدهرت فى أيامه ، ولأنه أنجب أولادا أخياراً على حظ كبير من الجمال وعاش ليرى أحفاده حتى أصبحوا رجالا ، وعلاوة على ذلك فإنه مات بعد ذلك ميتة مشرفة إذ نشبت معركة بين أهل أثينا وجيرانهم بالقرب من اليوسس ، فخف لنجدة بنى وطنه ، وأنزل الهزيمة بالعدو ، ولكنه سقط صريعاً فى ساحة الشرف ، فدفنه مواطنوه فى حفل مهيب بأجلى مظاهر التكريم » .

وهنا أعاد كرويسوس سؤال سولون عمن يعتقد أنه يتلو تيلوس فى السعادة . فأجاب سولون : « إنهما كليوبس وبيتو من جنس اجريف . كان ثراؤهما على قدر حاجتهما ، ولكنهما كانا يتمتعان بقوة جسمانية خارقة جعلتهما يفوزان بكثير من الجوائز فى المباريات الرياضية ، ويقال أنه أقيم احتفال عظيم تكريماً للإلهة جونو فى أرجوس ، وكان من الضرورى أن تذهب أمهما إلى هذا الحفل راكبة عربة ، وإذ تخلف الثوران اللذان كان من المقرر أن يجرا المركبة إلى الحفل نظراً لتأخرهما فى العمل فى الحقل ؛ وإذ خشى الابنان أن يتأخروا جميعاً عن الحفل ؛ قاما بجر المركبة مسافة خمسة وأربعين فورلنج حتى وصلا بها إلى المعبد ، وقد شاهد فعلتهما

الرائعة تلك جميع المصلين .. وانتهت حياة الابنين أحسن نهاية يمكن أن يطمع فيها إنسان ، وبذلك أبدى الله عز وجل أن الانسان يمكن أن يحظى بالشرف فى الموت أكثر مما يحظى به فى الحياة . ذلك لأن الأم وقفت أمام تمثال الإلهة وتضرعت إليها أن تبارك ابنيها اللذين كرماها أجمل تكريم ، بينما أصر المصلون على إنشاء تمثالين للأبنين اللذين أظهرا نبلا وتفانياً فى الاخلاص لأمهما لم يسبق له مثيل ، وبعد أن أقيم التمثالان وهبا لمعبد دلفى ..

وما كاد سولون يفرغ من قصته حتى صاح كرويسوس بغضب : إذن فأنت لاترى أننى رجل سعيد أيها الغريب القادم من أثينا .. أنك لم تحاول حتى مساواتى بالرعايا

فأجاب سولون : لقد سألتنى سؤالا عاما يا مولاى ، ولهذا أجبتك بما أراه عين الصواب .. كان سؤالك عن رجل ، ولما كنت قد بلغت السبعين من العمر فقد تجمعت لى تجارب كثيرة بحيث أصبح الاختيار والمفاضلة أمرين من الصعوبة بمكان ؛ وإنى أعتبر أن سبعين عاماً هى الحد الأقصى لعمر الإنسان ، لأن عدد الأيام التى تشتمل السبعون عاماً عليها هو ستة وعشرون ألفاً ومائتان وخمسون يوما ، تمر بالإنسان فى كل يوم منها تجارب تختلف عن جميع التجارب التى تمر به فى غيره . ومع إننى عرفت أنك على حظ كبير جداً من الثراء ، وأنك ملك على شعوب كثيرة ، إلا أننى لا أملك إجابة على السؤال الذى ألقيته على ، ولن أملك هذه الاجابة إلا حينما أعلم أنك ختمت حياتك سعيداً ، لأن

من يملك أوسع الثراء لا يكون أقرب للسعادة من الشخص الذى لا يجد غير قوت يومه ، اللهم إلا إذا اقترنت ثروته بحسن الحظ فاستطاع أن يستمتع بكل ماتحققه الثروة إلى يوم يموت؛ لأن كثيراً من أصحاب الثروات تنكر لهم الحظ ، بينما أدار الحظ وجهه إلى غيرهم ممن لا يملكون أى ثراء والخلاف بين الفريقين واضح ، فصاحب الثروة يستطيع أن يشبع رغباته ، وأن يواجه النكبات المفاجئة ، أما الشخص معدوم الثراء فلا يستطيع احتمال هذه الكوارث (ولو أن حظه الحسن يجنبه إياها) ، ولكنه يتمتع بالبركات التالية : صحة طيبة ، وحظ حسن ، وبركة فى الأولاد ، ومحبة من الناس ؛ فإذا انتهت حياته نهاية طيبة ، فإنه ولاشك رجل سعيد . بيد أنه من النادر أن تتجمع هذه الصفات فى رجل واحد ، كما أنه لا توجد دولة واحدة تملك بداخلها كل ماتحتاج إليه ، ولهذا فإن أسعد دولة هى التى تملك معظم احتياجاتها . وهكذا ترى أنه لاتوجد دولة ولايوجد رجل مكتمل من جميع النواحى ؛ ومن ثم فإن الإنسان الذى يتجمع له أكبر عـــدد من المزايا ، ويحتفظ بها حتى يموت ، فإنه ـــ فى رأيى ـــ الرجل السعيد .

كان هذا هو الحديث الذى ألقاه سولون على كرويسوس . ولهذا ضاق الملك به . وعندما استأذن فى الرحيل ودعه بجفاء .

الفصل الرابع

قصة ادراستوس

بعد رحيل سولون ، أنتقم الله من كرويسوس انتقاما رهيباً ؛ ذلك أنه حلم ذات ليلة حلما كشف له النقاب عن النكبة التي خبأها له القدر في شخص ابنه . فقد كان لكرويسوس ابنان : أحدهما أبكم أصم ، والآخر شاب لامع أسمه أتايس . وقد رأى كرويسوس في الحلم أن ابنه أتايس سيموت بطعنة من سلاح حديدى . وافزع الحلم الملك ، وفي التو أرغم ابنه على الزواج ، وبعد أن كان أتايس يتولى قيادة الجيش في الميدان ، حظر الملك عليه الاشتراك في أية معارك ، كما نقل جميع الأسلحة التي كانت تستخدم في الحروب من مساكن الذكور ووضعها في غرف النساء خشية أن تسقط احداها فتقتل أبنه .

وبينما كان الملك يعد العدة لزواج ابنه ، جاء إلى سرديس رجل لوث يديه بالدماء . وكان هذا الرجل من أسرة الملك في برايجيان ، وقدم نفسه للملك كرويسوس وتضرع له أن يطهره من الاثم الذى ارتكبه طبقاً لتقاليد بلاده . وكانت طريقة الليديين في التطهير شبيهة بطريقة اليونان ، فأجابه كرويسوس إلى طلبه . وبعد أن تمت عملية التطهير ، طلب الملك

من زائره أن يكشف له عما خفي من أمره ، فأجاب الضيف : « مولاى ، إننى ابن جوردياس ابن ميداس ، واسمى ادراستوس . وقد قتلت أخى غير متعمد ، فطردنى أبى من البلاد ، وبذلك فقدت كل شيء ، وجئت إليك لاجئاً » فقال الملك : « إنك ابن بيت صديق لى ، ولهذا فإننى أرحب بك وستقيم في منزلى ما طابت لك الاقامة ، فهون عليك ولا تفكر فيما مر بك » ومنذ ذلك اليوم عاش ادراستوس فى قصر الملك كرويسوس .

واتفق أن ظهر فى تلك الأثناء ذئب متوحش فى مايسيان أوليمبوس وراح هذا الذئب يعيث فى الأرض فساداً ويفتك بأهلها ، فأوفدوا رسلا إلى الملك كرويسوس يناشدونه العون فى القضاء على هذا الوحش .

والتمسوا أن يكون ابنه الباسل على رأس البعثة . ولكن الملك تذكر الحلم المروع فرفض ايفاد ابنه ، وإن قبل إرسال جماعة من خيرة مقاتليه لأداء هذه المهمة .

وحينما سمع اتايس ذلك احتج على أبيه وأصر على الذهاب ، فلما صارحه أبوه بالحلم الذى رآه ، قال الابن أنه يقدر موقف أبيه حق قدره ولكنه أردف قائلا أنه لن يستعمل أية أسلحة حديدية فى مطاردة الذئب وبعد جدل كثير وافق الملك على ذهاب ابنه مع الوفد، ولكنه استدعى ادراستوس ، وبعد أن ذكره بالجميل الذى صنعه معه طلب منه مرافقة ابنه ومنع أى أذى عنه . . إلا أن سوء الحظ ، أو قل القدر كان للأمير بالمرصاد . إذ ما كاد الرسل يطاردون الذئب ويعثرون عليه حتى رفع ادراستوس رمحاً حديدياً وقذفه به ، ولكن الرمح أخطأ الذئب

وأصاب اتايس فى قلبه ، فقتله فى الحال . . وبهذا تحقق حلم الملك .

وأسرع أحد الرسل إلى الملك يفضى إليه بالنبأ المؤلم ؛ وكان للنبأ وقع الصاعقة على الأب ، وبالأخص لأن مصرع ابنه جاء على يد الرجل الذى لجأ إليه فآواه وأحسن إليه .

وحينما جاء الرجال يحملون جثة اتايس إلى أبيه ، ركع ادراستوس أمام الملك ، وتضرع إليه كى يقتله .

ولكن الملك أنهضه وقال له إن الخطأ ليس خطأه لأن القدر سبق أن نبهه إلى هذا المصير ، ولكنه لم يرتدع . .

وعندما دفنت جثة اتايس، شق ذلك على نفس ادراستوس ، فانتحر فوق القبر . .

واستسلم الملك المفجوع للحزن عامين كاملين . .

الفصل الخامس

كرويسوس

نسى الملك كرويسوس أحزانه بعد عامين حينما جاءه نبأ يقول أن سايروس بن قمبيز دمر امبراطورية استياجس وسايا كساريس ، وأن الفرس يزدادون قوة يوماً بعد آخر . وقرر كرويسوس أن يستشير الآلهة فيما إذا كان من مصلحته أن يبادر بالوقوف فى وجه الفرس لوقف توسعهم .

ولذلك أوفد رسـلا إلى آلهة الإغريق وإلى الإله آمون فى صحراء ليبيا .

وطلب الملك من رسله أن يعدوا الأيام التى تنقضى منذ رحيلهم عن سرديس وفى اليوم المائه يستشيرون الآلهة فيسألونها عما يفعله الملك كرويسوس بن الياتس ملك ليديا فى تلك اللحظة، وعلى الرسل أن يسجلوا الإجابة كتابة ويعودوا بها إليه . وحينما فعلوا ذلك تبين أن إجابة دلفى هى الصحيحة ، إذا قال الإلة أن الملك يطهو سلحفاة مع حمل فى قدر نحاسى له غطاء من النحاس .

وكان هذا هو فعلا ما صنعه الملك فى ذلك اليوم . وعندئذ قرر الملك أن يستشير إله دلفى فيما إذا كان من مصلحته الاشتباك فى الحرب مع الفرس أم لا . وبعد أن حمل رسله بالهدايا للاله ، طلب منهم سؤال الاله دلفى عما إذا كان من مصلحته محاربة الفرس أم لا ، وهل ينبغى أن يستعين بحلفاء أم لا .. وجاء الرسل يقولون إن الآلهة أجمعت على أن اشتباك الملك فى الحرب مع الفرس سيؤدى إلى تدمير إمبراطورية كبيرة ، وأن عليه أن يستعين بحلفاء أقوياء من اليونانيين ..

وكاد الملك يطير فرحاً ، برغم أنه أخطأ فى تفسير النبوءة ، وخرج بجيشه إلى كابادوسيا وهو مطمئن إلى أنه سيهزم سايروس ويقضى على إمبراطورية الفرس . وعندما وصل بجيشه إلى نهر هاليس ، وعبره ، دخل إلى إقليم كابادوسيا الذى كان يطلق عليه بتزيا ، ويقع بجوار مدينة سينوبيه على نهر إيركسين . وهنا أقام كرويسوس معسكره فى أمنع نقطه وبدأ ينهب حقول السوريين . وحاصر مدينة التسريين واستولى عليها وجعل من أهلها أرقاء ، كما استولى على القرى المجاورة وأخضعها لحكمه. وهكذا جلب الخراب على السوريين برغم أنهم لم يرتكبوا إثما . . وفى تلك الأثناء كان سايروس قد حشد جيشه وزحف لملاقاة كرويسوس ، وكان يضم إليه قوات جديدة من الشعوب الموالية له أثناء سيره . وحينما التقى الجيشان دارت بينهما رحى معركة دموية طاحنة سقط فيها كثير من القتلى من الجانبين بغير أن يكتب النصر لأحدهما ، وحينما أقبل الليل كان الفريقان لا يزالان يقاتلان ببسالة معدومة النظير .

وفى اليوم التالى ، لم يستأنف سايروس القتال فعاد كرويوس بجيشه إلى سرديس وهو يعتزم جمع حلفاءه والعودة لملاقاة عدوه فى الربيع . وعلى أثر وصول كرويوس إلى سرديس سرح جيشه ، نظراً لأنه كان مكوناً من جنود من المرتزقة ، ولأنه لم يكن يتوقع أن يجازف سايروس بالمجىء إلى سرديس . .

وفجأة . ظهر سايروس بجيشه عند مشارف سرديس. ذلك أنه ما كاد يوهم كرويوس بأنه لا يعتزم استئناف القتال، ويستوثق من رحيل كرويوس بجيشه، حتى قرر أن يهاجم سرديس فجأة حتى لا يدع لملكها فرصة حشد جيشه.

واسقط فى يد الملك ليديا ، ولكنه كان رجلا شجاعاً ، فخرج لملاقاة العدو بما بقى لديه من قوات. . وتقابل الجيشان فى سهل أمام سرديس، وكان سهلا مسطحاً مجرداً من الأشجار يرويه نهر هايلوس وأنهار أخرى عديدة تصب كلها فى نهر واحد كبير هو نهر هرمس .

وعندما رأى سايروس الليديين وهم ينظمون أنفسهم فى السهل استعداداً للقتال ، ولاحظ انهم يضعون فرسانهم فى المقدمة ، لجأ إلى خدعة تعلمها من هاربا جوس أحد الميديين فجمع ما لديه من جمال وضعها فى المقدمة ، لتواجه جياد الليديين ، ونظراً لأنه كان يعلم أن الجياد تنفر من الجمال بسبب رائحتها، فقد قدر أن يكون ذلك سبباً فى التخلص من فرسان أعدائه وصح ما توقعه سايروس ، إذ ما كادت جياد الليديين تشم رائحة الجمال حتى ولت الادبار . ولكن الليديين كانوا محـــاربين شجعان ، فترجلوا عن جيادهم واشتبكوا مع العدو فى معركة دامية . وطال أمد المعركة وبعد

مذبحة طويلة ، تقهقر الليديون إلى ماوراء اسوار المدينة فحاصرها الفرس . .
وخيل لكرويسوس ان الحصار سيطول أمده فأوفد رسلا إلى جيرانه وحلفائه يطالبهم بالتجمع فى سرديس فى مدى خمسة أشهر . .

ولكن تطور الموقف المفاجىء قضى على أحلام كرويسوس . ذلك أن أحد جنود سايروس لاحظ أن فى سور المدينة منطقة خطرة يستحيل تقريبا تسلقها ، ولذلك لم يعين الليديون أحداً لحراستها . وبعد أن استأذن هذا الجندى من قائده فى محاولة تسلق السور من هذه المنطقة وأذن له ، استطاع الجندى أن يتسلق السور بعد لأى ، وسرعان ماتبعه الكثيرون . وبهذا سقطت سرديس ، وأعمل العدو فيها السلب والنهب .

أما كرويسوس نفسه فكاد يموت بطعنة رمح من جندى فارسى يجهل شخصيته لولا أن رأى ابنه الأبكم ما كاد يحل بأبيه فانحلت عقدة لسانه وصاح « أيها الرجل ، لاتقتل كرويسوس » .

وسقط كرويسوس أسيراً فى أيدى الفرس بعد أن استمر حكمه أربعة عشر عاما ، وهكذا حقق نبوءة الآلهة فقضى على امبراطورية عظيمة هى امبراطوريته .

وجاء الفرس بكرويسوس مكبلا بالأغلال وأوقفوه أمام ملكهم الظافر . فأمر الملك بعمل كومة هائلة من الأخشاب ، ثم أجلسوا كرويسوس فوق الكومة وأجلسوا معه أربعة عشر شاباً من الليديين . وأدرك كرويسوس أن عدوه يعتزم حرقه ، وتذكر فى تلك الأثناء العبارة التى سمعها من سولون

« ليس هناك انسان سعيد وهو على قيد الحياة » وعندئذ تنهد من أعماق قلبه ، ثم تأوه : وردد اسم سولون ثلاثا ، وسمع سايروس الصوت فطلب من المترجمين أن يستعلموا من كرويسوس عما يقول ، ولكن الأسير لاذ بالصمت ، فألحوا عليه فى الكلام ، وأخيراً قال: « انى مستعد لأن أدفع أى ثمن لكى أرى رجلا معيناً يخاطب جميع الملوك» . ولم يفهم المترجمون المعنى الذى قصده كرويسوس ، فألحوا عليـــه لكى يفسر ما يعنيه وعندئذ اضطر إلى الافضاء اليهم بالحديث الذى دار بينه وبين سولون الأثينى منذ أمد طويل ، وكيف أن كل ما قاله سولون قد تحقق بحذافيره ولو أن حديثه لم يكن منصبا عليه وإنما كان عاماً . وبينما كان كرويسوس يتحدث أشعل بعض جنود سايروس النار فى الخشب ؛ فلما سمع سايروس من مترجميه ما قاله الملك الأسير ، تملكه الندم . فأصدر أمره لرجاله لكى يطفئوا النار ، ولكنهم فشلوا فى السيطرة عليها .

وحينما تبين لكرويسوس ندم سايروس وفشل رجاله فى إطفاء النار ، نادى بأعلى صوته الإله أبولو وتضرع له أن يخف لنجدته وإنقاذه من الخطر المحدق به . . وفجأة تجمعت سحب سوداء بعد أن كان الجو صافياً ، وانهمر مطر غزير أطفأ النار سريعاً ؛ وحينئذ آمن سايروس بأن كرويسوس رجل مبارك ، فسأله بعد أن أنزلوه من فوق كومة الأخشاب وحلوا وثاقه عمن دفعه إلى محاولة غزو بلاده واتخاذه عدوا له بدلا من أن يكتسب صداقته فأجاب كرويسوس : « أيها الملك ، إن

مافعلته كان من حسن حظك وسوء حظى . وإذا كان هناك من يستحق اللوم فإنه آلهة اليونان التى شجعتنى على البدء بالحرب . . »

وهنا طلب سايروس من كرويسوس أن يجلس بجواره ، واحاطه باحترام كثير . وحينما لاحظ الملك المهزوم أن جنود الملك المنتصر يعملون السلب والنهب فى المدنية ، قال له : « هل تسمح لى بأن أقول لك مايدور بخلدى أم أن الصمت أحسن ؟ » . فطلب إليه سايروس أن يفضى إليه بذات نفسه . فقال : « ألا ترى مايصنعه هؤلاء الجنود ؟ إنهم لاينهبون مدينتى ، لأنها لم تعد مدينتى ، ولكنهم ينهبون ثروتك » .

وفطن سايروس إلى ما فى قول كرويسوس من حكمة ، فأمر رجال حاشيته بالانسحاب ، ولما انفرد بكرويسوس ، سأله أن يبين له أحسن سبيل للعمل . فقال كرويسوس : « أما وقد أرادت الآلهة أن أصبح مدينا لك بحياتى ، فاسمح لى أن أقول لك إن الفرس شعب فقير ولكنه تكبر ، فإذا تركت جنودك ينهبون المدينة ، فلسوف تبطرهم النعمة ويتمردون عليك إذا لم تستطع أن تقدم لهم المزيد ؛ ومن ثم فإذا أردت نصيحتى فاجعل عند أبواب المدينة عـــدداً من رجال حرسك الخاص ومرهم بالاستيلاء على كل ماسلبه الجنود ونهبوه من المدينة عند خروجهم من الأبواب بدعوى أن تلك هى العشور المطلوبة لجوبيتر وبذلك تتجنب حقد الجنود عليك وتنازلهم عما نهبوه طواعية . »

وسر سايروس بهذه النصيحة أيما سرور ، وأصدر أوامره لرجال حرسه بالعمل تبعاً لما أشار به كرويسوس . وهنا طلب كرويسوس أن

يسمح له بايفاد رسول إلى معبد دلفى ليضع الاغلال التى كان موثوقاً بها عند بابه . ثم شرح له النبوءة التى سبق أن جاءه الرسل بها ، فضحك سايروس على ذلك ، وحمل كرويسوس رسله برسالة للالهة ، وعندما عاد الرسل قالوا لكرويوس إن ابولو قال لهم إن العقاب الذى حل به كان نتيجة للشرور التى ارتكبها جده الخامس الذى كان من رجال حاشية هركليدس ، فاغتصب امرأته ، وذبحه، واعتلى عرشه . وكان ابولو يرغب فى ألا تحل اللعنة بكرويسوس ولكن الأقدار رفضت ذلك ، وإنه هو الذى أنقذه من الموت حرقا . ثم إن الإجابة التى تلقاها على استعلامه الأول قالت إنه سيدمر امبراطورية عظيمة ، ولكنه أخطأ وفهم أن الامبراطورية المقصودهى أمبراطورية سايروس بينما الواقع أن النبوءة كانت تعنى امبراطوريته هو، وكان الأجدر به أن يعود للاستعلام من الآلهة عن اسم الامبراطورية التى سيدمرها ولكنه تسرع لحق عليه الجزاء ...

وهكذا انتهت امبراطورية كرويسوس .

الفصل السادس

أسطورة سايروس

اقتصرت فى حديثى حتى الآن على بيان كيفية خضوع الليديين لحكم فارس ، وأصبح لزاماً على الآن أن أبين من هو سايروس الذى قضى على امبراطورية الليديين وما هى الوسائل التى استخدمها الفرس حتى أصبحوا سادة آسيا .

كان هناك رجل ميدى اسمه ديوسس بن فراورتس اتصف بالحكمة ولكنه كان رجلا طموحاً يسعى الاستئثار بالملك لنفسه ولهذا رسم الخطة المدهشة التالية لتحقيق مآربه . كان الميديون يقيمون فى تلك الأثناء فى قرى مبعثرة بغير أن تكون لهم سلطة مركزية ولا قانون ينظم العلاقات بينهم ، ولما كان ديوسس يحتل مكانة مرموقة فى قريته فقد كرس وقته للتحكيم بين المتنازعين .

وسرعان ما اشتهر بين قومه بالعدالة وسداد الحكم فاتخذوه حكما فى كل مايطرأ بينهم من خلاف ونزاع ، وما لبث أن اشتهر أيضاً بين

سكان القرى المجاورة ، ونظراً لأن سكان جميع القرى كانوا يعانون فى فساد النظام والأحكام فإنهم كانوا يجيئون إلى ديوسس ليفض منازعاتهم .

واستمر عدد الحالات التى تعرض عليه فى الازدياد ، وعندئذ أيقن ديوسس أن الوقت قد حان للاقدام على الخطوة التالية ، فأعلن أنه سيكف عن التحكيم لأنه أصبح يشغل وقته كله بدرجة أنسته مصالحه الخاصة .

وعندئذ بدأت الفوضى تعود فاجتمع الميديون من كل حدب وصوب وعقدوا مؤتمراً كبيراً حضره كثيرون من أصدقاء ديوسس واقترحوا تنصيب ملك عليهم يتولى أمورهم ويجرى العدل بينهم . . وبعد مناقشات طويلة قرر المجتمعون اختيار ديوسس ليكون ملكا عليهم .

وعندما أبلغ هذا القرار لديوسس ، طلب بناء قصر يتلاءم مع مركزه ، وأن يعين له حرس خاص ، فبنى الميديون له قصراً مساحته أربعة أخماس الميل ، وتركوا له حرية اختيار حرسه الخاص ؛ وبعد أن ارتقى ديوسس العرش ، طلب من الشعب بناء مدينة عظيمة تكون عاصمة للملك ، فبنى الميديون مدينة اجبتانا وجعلوها مدينة حصينة منيعة حولها سور مرتفع يكفل رد العدوان عنها .

وأصدر الملك الجديد أمراً بمنع اتصال الأفراد بالملك مباشرة ، وإنما جعل هذا الاتصال عن طريق موظفيه ورسله .

وكان يلتقى الشكاوى مكتوبة ويبت فيها بالعدل الذى اشتهر به .

وهكذا استطاع ديوسس أن يجعل من الميديين شعباً واحداً يحكمه بمفرده .

وبعد أن حكم ديوسس ثلاثة وخمسين عاماً، مات فخلفه ابنه فراورتس. ولم يكتف الملك الجديد بالدولة التى تركها له أبوه ، فغزا فارس وأخضعها لحكمه ؛ وبعد أن أصبح ملكا على شعبين قويين ،تقدم لغزو آسيافراح يقهر الدولة تلو الاخرى ، وأخيراً اشتبك فى حرب مع الآشوريين ، أو ذلك القطاع من الاشوريين الذى كان يتخذ من نينوى عاصمة له . ونظراً لأنهم كانوا شعباً قويا ، فقد استطاعوا الانتصار على فراورتس الذى قتل فى ميدان القتال بعد أن حكم اثنين وعشرين عاماً

وبعد موت فراورتس اعتلى ابنه اجزرسيس العرش ، ويقال إنه كان رجلا عسكريا أقوى من أسلافه وأنه أول من شكل جيشاً آسيويا منتظماً ، فقسم الجيش إلى فرق بين حملة رماح ، وحملة سهام ، وفرسان بعد أن كانوا كتلة واحدة..وبعدأن استقرت لهالأوضاع زحف على نينوى ليثأر لأبيه واشتبك مع الاشوريين فى معركة رهيبة انتهت بهزيمة الأشوريين، وعندما تهيأ فراورتس لحصار المدينة اكتسح عددا هائلا من الاسقوثيين بقيادة ملكهم واديس آسيا فى مطاردتهم للسامريين الذين طردوهم من أوربا ودخلوا أراضى ميديا .

وبعد أن غزا جيش اسقوثيا ميديا واستولوا عليها أصبحوا سادة آسيا وزحف الاسقوثيون قدما ، وفى نيتهم غزو مصر ؛إلا أنهم ما كادوا

يصلون إلى فلسطين ، حتى استقبلهم ملك مصر بالهدايا وطلب منهم عدم الاستمرار فى التقدم. وفى طريق عودتهم مروا بالمدينة السورية اسكالون، وتلكأ عدد منهم فى المؤخرة حيث نهبوا معبد سلسبتال فينوس وهو أقدم معابد هذه الإلهة ..

واستمرت سيطرة الاسقوثيون على آسيا ثمانية وعشرين عاماً واتصف حكمهم بالعسف وابتزاز الأموال ، وأخيراً دعا اجزرسيس والميديون عظماء الاسقوثيين إلى وليمة كبيرة وبعد أن أسرف الضيوف فى شرب الخمر ، ذبحهم اجزرسيس ورجاله وبذلك استعادت ميديا امبرطوريتها واستولت على نينوى ، وغزت آشور كلها باستثناء بابل .

ومات اجزرسيس بعد ذلك بعد أن حكم ميديا أربعين عاماً ، فخلفه ابنه استاياجس الذى أنجب ابنة رأى لها فى الحلم رؤيا مدهشة ، فقد علم أنه انبثق منها مجرى ماء لم يغمر العاصمة فقط ، بل غمر آسيا كلها . وطلب الملك من مفسرى الاحلام أن يفسروا له معنى هـــذا الحلم . وأزعجه تفسيرهم ، فلما بلغت ابنته طور الانوثة رفض أن يزوجها لاحد الميديين وزوجها لرجل فارسى من أسرة كبيرة

وهكذا تزوج هذا الفارسى، وكان اسمه قمبيز، بماندانيه، وبعد عام رأى الملك استاياجس رؤيا ثانية مفادها أن كرمة نبتت من رحم ابنته وظللت آسيا كلها . وحينما قدم المفسرون له معنى هذا الحلم بعث يستدعى ابنته ماندانيه من فارس . وكانت قد أنجبت طفلا ، وعلى وشك أن تنجب الثانى ، وعند مجىء ماندانيه وضعها أبوها تحت الملاحظة وقد اعتزم أن

يقتل الطفل الذى ستلده لأن المفسرين قالوا له إن الطفل الذى ستلده ابنته سيحكم آسـيا بدلا منه . ومن ثم فما أن ولدت ابنته طفلها سايروس حتى بعث يستدعى هارباجوس وهو من أخلص أعوانه ، وطلب إليه أن يأخذ الطفل ويذبحه بعد أن أفضى إليه بتفسير المنجمين للحلم الذى رآه أثناء نومه

وبعد تردد نزل هارباجوس على أمر الملك فحمل الطفل إلى منزله وهو يبكى ؛ وأخذ يتشاور مع زوجته فى الأمر ، وأخيراً استقر رأيهما على أن يبعثا فى استدعاء رجل اسمه مترادانس أحد رعاة استاياجس ، كان هارباجوس يعلم أن مراعيه أصلح مكان لتحقيق رغبة الملك ، لأنها موجودة بين جبال تعج بالوحوش ؛ وكان هذا الرجل متزوجاً من إحدى جوارى الملك واسمها سباكو ، وكانت الجبال التى ترعى ماشيته عند حافتها فى شمال اجبتانا . وعندما جاء مترادانس أمره هارباجوس بأن يأخذ الطفل معه وأن يقدمه للوحوش لقتله بناء على أمر الملك ، وقال له إن الملك سوف يقتله إذا لم ينفذ هذا الأمر

وحمل الراعى الطفل بين ذراعيه ، ومضى به إلى منزله وهو شديد الحيرة . واستقبلته زوجته متلهفة ، وما كادت تسمع قوله حتى استبد بها القلق وبالأخص حينما لاحظت أن الطفل يرتدى ثياباً فاخرة موشاة بالذهب . وقال زوجها أن هارباجوس بعث معه خادماً من قصر الملك ليدله على الطريق وأن الخادم قال له أن الطفل ابن ماندانيه ابنة الملك ، وأن اسم أبوه اجزرسيس واسمه هو سايروس . وأن أوامر الملك تقضى بقتل الطفل . .

وانفجرت زوجة الراعى باكية وراحت تناشد زوجها ألا يقتل الطفل ، فلما فشلت فى أول محاولة ، أعادت الكرة ، قالت لزوجها أنها مستعدة للتضحية بطفلها الذى ولدته منذ أيام على أن تتولى هى تربية طفل ابنة الملك . . وخيل لزوجها أن تلك الفعلة — وإن كانت تنطوى على تضحية نادرة — فإنها أحسن مخرج من المأزق . ومن ثم قرر اتباعها بدون اضاعة للوقت . فأعطى الطفل سايروس لزوجته ، وبعد أن ألبس ابنه ثياب الطفل الملكى حمله بين ذراعيه إلى منطقة ترتادها الوحوش فى الجبال ، وتركه هناك ، وبعد ثلاثة أيام — وكان قد ترك أحد اتباعه لمراقبة الطفل — ذهب متراداتس إلى المدينة وقابل هارباجوس وقال له إنه مستعد لاطـــلاعه على جثة الطفل ، فبعث هارباجوس بأحد خلصائه مع الراعى . وبعد أن تأكد الرسول من موت الطفل ، دفنت جثته فى حفل مهيب .

وهكذا أخذت زوجـــة الراعى طفل ابنة الملك لتربيه تحت اسم آخر .

وعندما بلغ الطفل العاشرة من عمره وقع حادث كشف حقيقة أمره ، فقد كان يلعب ذات يوم مع عدد من فتيات القرية ممن هم فى مثل سنه . وقد اختار الغلمان ، ابن الراعى ، وهو الاسم الذى كان يطلق على سايروس حينذاك ، ليلعب دور الملك . فأخذ الغلام يصدر إليهم أوامره — فالبعض يبنى له بيوتاً ، والبعض الآخر يحرسونه ، وأحدهم يكون له عيناً ، وآخر يحمل رسائله . وكان من بين الغلمان ابن ارتمبارس

وهو من كبار الميديين وقد رفض أن ينفذ أوامر سايروس ، وعندئذ أمر سايروس الغلمان الباقين بالقبض على الغلام ، وعند ما نفذ الأمر . أدب سايروس الغلام بأن ضربه بالسوط ضرباً قاسياً . وعندما عاد الغلام إلى أبيه شكا إليه مما حل به على يد ابن الراعى فأخذ ارتمبارس ابنه وذهب إلى الملك استاياجس وشكا إليه مما فعله ابن الراعى . فأراد الملك أن يطيب خاطر ارتمبارس فأرسل يستدعى الراعى وابنه . وما كاد الملك يثبت عينيه فى الغلام حتى ابتدره بقوله «كيف جرؤت يافتى على معاملة ابن أحد النبلاء بمثل هذه القسوة ؟ » فأجاب سايروس بكل جرأة : « لقد عاملته بما يستحقه يامولاى . لقد اختارونى ملكا فى اللعب لأنهم ظنوا إننى أحسن من يستطيع أن يؤدى هذا الدور ؛ وأطاع الجميع أوامرى إلا هذا الغلام فلم يكن مفر من تأديبه ، فإذا كنت تعتقد إننى أستحق عقاباً على ذلك فإننى مستعد لاحتماله يامولاى ! » .

وبينما كان الغلام يتكلم ، بدأت الشكوك تتلاعب بالملك من ناحية شخصية الغلام ، فقد لاحظ وجود شبه كبير بين وجه الغلام ووجهه ، كما أن سنه يتلاءم مع سن حفيده الذى أمر بقتله ، ووجم الملك قليلا ، وأخيراً قال لارتمبارس أنه سيبت فى الأمر بما يرضيه . ثم أمر بوضع سايروس فى غرفة منعزلة ، وبعد أن صرف جميع الحاضرين ، استبقى الراعى معه . فلما انفردا سأله أين حصل على الغلام ، فأجاب الراعى إن الغلام ابنه وأن أمه مازالت على قيد الحياة . وهنا لجأ الملك إلى التهديد وشدد النكير على الراعى حتى اضطره فى النهـــاية إلى الاعتراف بكل شىء .

وعصف الغضب بين جنبي الملك ، فارسل يستدعى هارباجوس، فلما جاء ورأى الراعى مع الملك فهم كل شيء ، وما كاد الملك يسأله عما فعله بحفيده ، حتى صارحه بالحقيقة كلها ، وبما فعله بالطفل .

وحرص الملك عن أن يكتم غيظه وغضبه . وقال : إذن فما زال الطفل على قيد الحياة . إن ذلك من حسن الحظ ، فقد أثار موته حزنى وحزن ابنتى الشديد . حقاً ، لقد لعب الحظ دوراً رائعاً فى الأمر،والآن إذهب يا هارباجوس إلى منزلك وابعث بابنك ليكون رفيقاً لحفيدى ، وسأقيم الليلة وليمة كبيرة احتفاء بنجاة الطفل تكون أنت ضيف الشرف فيها .

وطغى الفرح على هارباجوس لنجاته من الخطر ، وأسرع إلى منزله حيث أرسل ابنه ، وكان فتى فى حوالى الثالثة عشرة من عمره ، إلى قصر الملك . وما كاد الغلام يصل إلى القصر حتى ذبحه الملك ، وقطعه إربا ، وحمر بعض قطع من لحمه ، وسلق البعض الآخر . وعندما تم كل شيء . احتفظ بالرأس والأطراف والأمعاء فى سلة. فلما حان موعد الوليمة وجاء هارباجوس ومعه بقية المدعوين . لم يقدم لهارباجوس غير قطع من لحم ابنه ، فأكلها بغير أن يعلم حقيقتها ، وبعدئذ أمرالملك هارباجوس بأن يرفع الغطاء عن السلة ، وما كاد هارباجوس يرى رأس ابنه فى السلة حتى تنهد خفية ولكنه ظل رابط الجأش ؛ وعندما سأله الملك عما إذا كان يعرف نوع اللحم الذى أكله أجاب بالايجاب .

على هذا النحو عاقب الملك هارباجوس . وبعد ذلك راح يفكر

فيما يفعله بحفيده ، فبعث يستدعى المنجمين ، فلما جاءوا قال لهم إن الغلام أفلت من الموت ، وقص عليهم قصة الدور الذى لعبه الغلام مع أبناء القرية ، وعندئذ قال المنجمون أن قيام الغلام بدور الملك فى طفولته معناه أنه لن يقوم به بعد ذلك ، لأن الحلم تحقق فعلا ولم يعد هناك ما يخشى من الغلام .

وارتاح لهذا التفسير الذى قدمه المنجمون ليفلتوا بجلدهم . وبعد انصراف المنجمين ، استدعى الملك حفيده ، وأرسله إلى والديه فى فارس وما كاد الأبوان يعلمان أن ابنهما على قيد الحياة حتى كادا يطيران من الفرح . وسألا الغلام عن اسم المرأة التى أرضعته ، فلما عرفاه، استدعياها وعرفا منها القصة كلها ..

وعندما شب سايروس إلى طور الرجل ، اشتهر بالشجاعة وشدة البأس . .

وكان هارباجوس يتحين الفرص للثأر من الملك ، فراح يتودد إلى سايروس ، وبدأ يرسم خطته ليكون الانتقام من استياجس على يدى سايروس . ولتحقيق مأربه أخذ يتصل بنبلاء ميديا الذين أزعجهم طغيان الملك ويغريهم بالانضمام إلى سايروس وخلع الملك . وبعد أن أتم هارباجوس هذه الاستعدادات أراد أن يبلغ رغبته لسايروس الذى كان لايزال يقيم فى فارس ، ولكن الطرقات كانت محروسة ، والجواسيس منتشرون فى كل مكان ، ومن ثم لم يكن مفر من أن يبتكر طريقة تمكنه من ايصال رسالة لسايروس ، وأخيراً هداه تفكيره إلى خدعة جهنمية ،

فأحضر أرنب بريا فتح بطنه ووضع فيه رسالة مشتملة على جميع تفاصيل المؤامرة ، ثم عاد لخاط بطن الأرنب بعناية ، وعهد لأحد أعوانه المقربين بإيصاله بعد أن جعله يرتدى ثياب صياد .

وسارت الأمور وفق ما أشتهى هارباجوس ، وتلقى سايروس الرسالة وقد جاء فيها : « إن الله يحميك يا ابن قمبيز، وإلا لما أنقذك من المغامرات الرهيبة التى مرت بك ؛ وقد حان الوقت لتثأر لنفسك من استاياجس ، القاتل . تذكر أنه أراد أن يقتلك ، ولكن الله كتب لك النجاة بفضلى . وما أظنك تجهل ماذا فعل بك،ولا التنكيل الذى أنزله بى لأننى لم أقتلك والآن أصغ إلى ، واعقل ماسأقوله لك وعندئذ ستصبح إمبراطورية استاياجس كلها ملكا لك . أشعل نار الثورة فى فارس ، ثم ازحف على ميديا ؛ وسواء عينى استاياجس قائداً على القوات التى ستقاتلك أم لا ، فإن كل شيء سيسير وفق ماتشتهى لأننا سننقم لك بلا ابطاء ، فأسرع .

وعندما تلقى سايروس هذه الرسالة راح يفكر فى خير وسيلة تمكنه من إقناع الفرس بالانضمام إليه ، وبعد تفكير طويل ؛ كتب ماظنه مبلغا إياه رغبته فوق لفافة ، ثم دعا الفرس لعقد اجتماع ، وأثناء الاجتماع فض اللفافة وأذاع ما فيها بقوله أن استاياجس عينه قائداً عليهم ، ثم قال أنه مادام قد أصبح قائدهم فإنهم يأمرهم بالذهاب واحضار جميع ما فى المدينة فى مناجل . ثم فض الاجتماع .

وعندما أطاع الفرس أمره، اختار قطعة من الأرض مساحتها عشرون فورلنج مربعاً ومغطاة بالأشواك وأمرهم بتنظيفها من كل مابها قبل انقضاء النهار . ففعلوا ذلك . وعندئذ أمرهم بالاستحمام فى اليوم التالى والمجيء إلى

نفس المكان . وفى تلك الأثناء جمع كل ما لدى أبيه من قطعان الماعز والأغنام بالاضافة إلى ما لديه من ثيران، ونحرها جميعاً، وأعد وليمة فاخرة للجيش الفارسى كله ، وجلب أيضاً كميات كبيرة من الخبز والخمر المعتق، وعندما جاء اليوم التالى، وحضر الفرس فى الموعد المحدد أمرهم سايروس بالجلوس فوق الأعشاب والاستمتاع بالوليمة . وحينما امتلأت بطونهم سألهم : « أيهما أحب الى نفوسهم عمل الأمس أم عمل اليوم » ، فأجابوا بأن الخلاف بين العملين كبير بالطبع : فأمس لم يجلب لهم شيئاً ولهذا كان يوماً سيئاً . وأما اليوم فكل شيء فيه جميل . . وفى التو استغل سايروس اجابتهم وقال لهم : يارجال فارس ، إذا استمعتم إلى كلامى فستستمتعون بمئات من هذه الولائم ، ولن تتعبوا أنفسكم فى العمل الشاق ، أما إذا رفضتم الاستماع إلى فأعدوا أنفسكم لأعمال شاقة كعمل الأمس،اتبعونى تتحرروا ، فانى أشعر بأن السماء اختارتنى لتحريركم ، واننى لعلى ثقة من أنكم لاتقلون عن الميديين فى شيء ، بل تفوقونهم فى الشجاعة،فتمردوا اذن على استياجس بلا ابطاء .

ولما كان الفرس قد ضاقوا بحكم الميديين . ووجدوا أخيراً زعيما يقودهم ، فقد سرهم الانضمام اليه . وفى تلك الأثناء علم استياجس بمايدبره سايروس ، فأرسل يستدعيه ، فقال سايروس للرسول: « قل لاستياجس أننى سآتى اليه بسرعة أكثر مما يريد » . وعندما تلقى استياجس هذه الرسالة بادر بتسليح الميديين ، ولكنه كان من الجهل بحيث عهد إلى هارباجوس بقيادة الجيش ، فلما التقى الجيشان انضم معظم الليديين للفرس ، بينما لاذ الباقون بالفرار .

وجن جنون استياجس ، فخرج بمن تبقى لديه من الميديين فى المدينة وتقابل مع جيش الفرس ، ودارت بين الفريقين معركة حامية انتهت بهزيمة الميديين وسقوط ملكهم استياجس أسيراً .

واقترب هارباجوس من الملك الأسير وراح يتشفى فيه ، ويذكره بلحم ابنه الذى أرغمه على تناوله .

وهكذا فقد استياجس تاجه بعد حكم دام ثلاثة وثلاثين عاما ، وخضع الميديون لحكم الفرس ، بعد أن ظلت امبراطوريتهم قائمة مائة وثمانية وعشرين عاماً .

الفصل السابع

ثورة سرديس

على أثر سقوط ميديا فى قبضة الفرس أوفد الأيونيون والايوليان اليونانيون رسلا إلى سايروس بسرديس يعرضون عليه ولاءهم على أساس العلاقة التي كانت قائمة بينهم وبين كروسيوس ، وأصغى سايروس إلى مقترحاتهم بعناية ، ثم أجاب عليها بقصة خرافية . . قال : « كان عازف مزمار يمشي على شاطىء البحر ذات يوم حينما رأت عيناه مجموعة كبيرة من السمك، فراح ينفخ لها فى مزماره متوهما أنها ستخرج له على الارض ولكنه سرعان ماتبين أنه واهم فى ظنه ، فأخرج شبكة وألقاها فى الماء فاصطاد السمك . وعندئذ أخذ السمك يثب ويرقص ، ولكن الزمار قال له : كفى رقصاً الآن ، فإنك لم تختر المجيء والرقص عندما نفخت لك فى المزمار » .

كانت تلك هى إجابة سايروس على رسالة الأيونيين والأيوليان لأنه عندما حثهم على الثورة ضد كرويسوس رفضوا الأصغاء اليه ، فلما رأوا أنه أصبح سيد الموقف جاءوا يعرضون عليه خضوعهم .

وما كاد الرسل يتبينون شدة غضب سايروس على شعبهم حتى بادروا بابلاغ مواطنيهم إجابة سايروس ، فخف هؤلاء لتحصين مدنهم وعقدوا

الاجتماعات فى البانيونيوم حضرها الجميع فيما عدا الميليسيان الذين سبق أن عقدوا معاهدة منفصلة مع سايروس . وقرر الايونيون باجماع الآراء إيفاد رسل إلى اسبارطة يناشدونها العون .

وحينما وصل الرسل إلى اسبارطة، حاولوا اقناع أهلها بتقديم العون لمواطنيهم ، ولكنهم رفضوا ، فاضطر الرسل إلى الرحيل ، ولكن الاسبرطيين أرسلوا قاربا إلى الشاطىء الآسيوى عليه بعض الاسبارطيين لمراقبة كل من سايروس وأيونيا .

وعند وصول هؤلاء الرجال إلى فوسيه ، بعثوا لاسرنيس. وهو ألمعهم ، لمنع سايروس من العبث بأية مدينة من مدن اليونان لانهم لن يسمحوا بذلك ..

ويقال أنه ما كاد سايروس يسمع حديث الرسول الاسبارطى حتى قال : إننى لم أشعر يوماً بالخوف من أحد ، فإذا كتب لى أن أعيش فسيجد الأسبارطيون من متاعبهم مايستحق الحديث بدلا من أن يتدخلوا فى شئون الايونيين » .

وبعد هذا الحديث غادر سايروس سرديس بعد أن عهد بحكمها إلى تابالوس الفارسى ولكنه عين باكتاياس الليدى لجمع كنوز كروسيوس وغيره من الليديين واللحاق به ، ثم زحف سايروس بجيشه على أجبتانا آخذاً كروسيوس معه نظراً لانه لم يكن يعتقد أن الايونيين يستحقون اهتمامه ، فضلا عن أنه كان يعتزم الاستيلاء بنفسه على بابل والبصرة ومصر . ومن ثم عهد إلى أحد قواده بغزو أيونيا .

إلا أنه ما كاد سايروس يغادر سرديس ، حتى راح باكتاياس يحث قومه على الثورة ضد سايروس ونائبه تابالوس ؛ ونظراً لوفرة الكنوز والأموال التى كانت تحت تصرفه ، فقد سار باكتاياس إلى البحر وراح يستأجر الجنود المرتزقة ويحث قومه المقيمين على الساحل على الانخراط فى سلك الجيش ؛ وبعدئذ زحف على سرديس ليحاصر تابالوس الذى لاذ بالقلعة .

وعندما سمع سايروس بهذه الأنباء وهو فى طريقه إلى اجبتانا تحول إلى كروسيوس وقال له « أين تعتقد ستنتهى هذه المهازل ياكروسيوس ؟ يخيل إلى أن الليديين لن يكفوا عن إثارة المتاعب لأنفسهم ولغيرهم حتى ليخيل إلى أن أفضل وسيلة لعلاجهم هى بيعهم رقيقاً » وأدرك كروسيوس أن بنى وطنه أصبحوا غرضة للخطر الداهم ، فأسرع يقول: إن كلماتك طافحة بالحكمة يامولاى ، ولكنى اتضرع إليك إلا تترك العنان لغضبك ، وإلا تحكم على مدينة عريقة بالتدمير . ولئن كان باكتاياس هو الذى آثار حركة التمرد ، فإن عليه أن يدفع الثمن؛ فأتوسل إليك أن تصفح عن الليديين هذه المرة،ويكفى أن تجردهم من السلاح حتى لايعودوا للتمرد » .

وأنفثأ غضب سايروس ، واستدعى ميديا اسمه مازاريس وعهد إليه أن يبلغ الشروط التى عرضها كرويسوس، وأمره بأن يبيع ، كرقيق ، جميع الذين انضموا لليديين فى هجومهم على سرويس ، وأن يحضر باكتاياس حياً . وبعد أن أصدر سايروس هذه الأوامر استمر فى زحفه إلى الأراضى الفارسية .

الفصل الثامن

سقوط بابل

تشتمل آشور على عدد كبير من المدن الكبرى ، أهمها وأمنعها مدينة بابل التى انتقلت إليها حكومة البلاد بعد سقوط نينوى . وتقع المدينة فى سهل فسيح مربع الشكل مساحته أربعمائة وثمانون فورلونج . أما فخامتها فلا تضارعها فيها أية مدينة أخرى . يحيط بها خندق عريض عميق مملوء بالماء ، من خلفه سور عرضه خمسون قدما وارتفاعه مائتا قدم وبهذا السور مائة بوابة كلها مصنوعة من النحاس (الصب) . وتنقسم المدينة إلى قسمين يفصلهما نهر الفرات وهو نهر عريض عميق قوى التيار ينبع من أرمينيا . ومعظم منازل المدينة يتألف من ثلاثة أو أربعة طوابق ، ، وجميع شوارعها مستقيمة . ويعتبر السور الخارجى الكبير خط الدفاع الرئيسى عن المدينة . بينما توجد أسوار أخرى داخلية أقل سمكا ومناعة . وفى قلب أحد قسمى المدينة يوجد القصر الملكى يحيط به سور متين جداً ، وفى القسم الثانى يوجد معبد الاله جوبيتر بيلوس .

ولقد حكم هذه المدينة ملوك كثيرون كان كل منهم يساهم بقدر فى

تقوية أسوار الدفاع عن المدينة . وسأكتفى هنا بذكر المرأتين اللتين حكمتا بابل وكان لهما شأن كبير فى تاريخها . كانت أولاهما الملكة سميراميس التى ارتقت العرش قبل الملكة الثانية بحوالى خمسين عاما . وقد انشأت ضفتين للنهر فى السهل بالقرب من بابل لمنع طغيان النهر على المدينة عند فيضانه .

أما الملكة الثانية فاسمها نيتوكريس . وكانت أكثر حكمة وأرجح عقلا من الملكة السابقة . ذلك أنها ما كادت تميز ما يتمتع الميديون به من قوة وبطش وكيف أنهم استولوا على عدد كبير من المدن من بينها مدينة نينوى حتى أيقنت أنهم سوف يهاجمون بابل بدورها ولهـــذا بذلت كل جهد فى طاقتهـا لتحصين المدينة واستكمال الدفاع عن امبراطوريتها . فعمدت إلى احداث منحنيات فى نهر الفرات الذى كان يتصف بأنه نهر مستقيم . وأقامت على كل جانب من جانبى النهر ضفة عريضة ، ثم حفرت حوضاً ليكون بمثابة ترعة تستمد ماءها من نهر الفرات واستخدمت الطمى الذى استخرج من هذه الترعة فى انشاء الضفتين العريضتين اللتين أشرنا لهما . وعندما تم حفر الترع أمرت بإحضار أحجار ضخمة وضعتها على جوانب البحيرة الكبيرة . وبذلك خفت حدة تيار النهر بسبب كثيرة الانحناءات التى استحدثت فيه ، والترعة الكبيرة التى حفرت على أحد جانبيه ، وكان غرض الملكة من ذلك الحيلولة دون اختلاط الميديين بأهل بابل ، ومنعهم من معرفة الأعمال التى كانت تؤديهـا .

ولم تكتف بنتوكريس بالأعمال التى أشرنا اليها، وإنما انشأت قنطرة متحركة على نهر الفرات لتصل قسمى المدينة ببعضهما . ذلك أنه لم تكن هناك أية قنطرة على النهر حينذاك ولهذا كان الانتقال من احد قسمى المدينة إلى القسم الآخر يتم بواسطة القوارب وهو أمر متعب للغاية نظراً لقوة تيار النهر

* * *

وعندما ماتت هذه الملكة العظيمة، خلفها على العرش ابنها لابنيتوس الذى شن سايروس حملته على بابل فى عهده

* * *

عندما زحف سايروس على بابل ، اعترضه نهر قنديز ، وهو نهر يتصف بشدة التيار بحيث يتعذر عبوره حتى بالقوارب .

ولم تفت هذه العقبة فى عضد سايروس، فأمر جيشه بحفر مائة وستين قناة جانبية لتخفيف قوة التيار، واستطاع الجيش اتمام هذه العمل فى النهاية، ولكن بعد انقضاء فصل الصيف وهو أصلح الفصول للأعمال الحربية .

وعندما بدأت بشائر الربيع التالى استطاع سايروس أن يعبر النهر بجيشه ، وتقدم من بابل . وكان جيش الفرس ينتظر الغزاة خارج أسوار المدينة ، فالتحم معهم فى معركة عنيفة، ولكن الدائرة دارت على الفرس ، فاضطروا إلى التراجع والاعتماد بالمدينة بعد أن أغلقوا أبوابها . وانصرفوا إلى أعمالهم العادية لشدة وثوقهم من مناعة تحصينات مدينتهم ، ولأنهم

اختزنوا فيها مؤناً تكفيهم سنوات كاملة لما كانوا يترقبونه من مهاجمة سايروس لمدينتهم .

وتملكت الحيرة سايروس ، وازداد قلقه نظراً لأنه لم يستطع إحراز أى نجاح ضد المدينة برغم انقضاء وقت طويل على حصارها . . وهنا خطرت له فكرة ، أم لعل أحداً أشار عليه بها فعمد إلى تنفيذها بلا إبطاء .. وضع قسما من جيشه عند نقطة دخول نهر الفرات إلى المدينة ووضع القسم الآخر عند النقطة التى يخرج النهر فيها من المدينة . وأمر قواته بالسير فى مجرى النهر عندما يصبح ماؤه ضحلا بدرجة كافية ، أما هو فأخذ معه بعض فرق الجيش ومضى إلى النقطة التى سبق أن أن حولت نيتوكريس مجرى النهر إليها عندما أرادت إنشاء قنطرة على النهر، وفعل مافعلته نيتوكريس من قبل إذ حول مجرى النهر بحفر قناة جانبيه جعلت مجرى النهر ذاته يصبح مخاضة سهلة العبور . وعلى أثر ذلك استطاع القسمان اللذان كانا ينتظران عند مدخل النهر إلى المدينة ومخرجه منها أن يخوضوا النهر ويدخلوا المدينة بغير أن يشعر أحد بهم .

وهكذا سقطت مدينة بابل المنيعة فى أيدى الفرس بغير أن يرفع أحد سلاحه للدفاع عنها . .

الفصل التاسع

مصر

على أثر موت سايروس ارتقى العرش ابنه قمبيز الذى أنجبه من الملكة كاساندانيه ابنة فارناسب . وقد مات كاساندانيه فى عهد سايروس فحزن عليها حزنا عظيما ، وأمر جميع رعاياه بأن يحذو حذوه فى الحزن عليها . ونظراً لأن قمبيز كان يعتقد أن الايونيين والايوليان أعداء لأبيه فقد أخذهم معه فى حملته على مصر ، مع الشعوب الأخرى التى اصطحبها معه .

* * *

وهنا لابد لنا من كلمة عن مصر فى ذلك العهد . .

قبل حكم الملك بساتيك كان المصريون يؤمنون بأنهم أقدم شعوب الأرض قاطبة . ولقد بذل بساتيك محاولة للتأكد من ذلك ، ولكن هذه المحاولة أثبتت أن الفرجانيين هم أقدم شعوب العالم .

ولكن المصريين كانوا أول من اكتشف السنة الشمسية وهم الذين قسموها إلى اثنى عشر قسما وقد اكتسبوا هذه المعرفة من النجوم

ونظراً لاختلاف مناخ مصر عن مناخ جميع بقاع الأرض، وانهارها عن جميع أنهار العالم، فان سكانها يختلفون فى اخلاقهم، وعاداتهم وصفاتهم

عن جميع الشعوب الأخرى ؛ فالنساء يذهبن إلى الأسواق ويتاجرن، بينما يبقى الرجال للعمل بالمنزل ، وبينما تحمل النساء الأشياء فوق أكتافهن فإن الرجال يحملونها فوق رؤسهم، وهم يتناولون الطعام فى الشوارع خارج المنازل ، ولكنهم يصرفون شئونهم الخاصة على حدة بداخل المنازل . ولا يسمح للنساء بأداء أعمال الكهنة سواء فى معابد الآلهة الذكور أو الآلهة النساء ، وانما يقتصر هذا العمل على الرجال وحدهم ؛ ولا ينفق الأبناء على الآباء إلا إذا أرادوا ذلك ، وأما البنات فملزمات بالانفاق على أبويهن طواعية أو كراهية .

وللكهنة فى الدول الأخرى شعور مرسلة، ولكنهم يحلقون رؤوسهم فى مصر . وعندما يموت أحد أقارب المصرى فإنه يرسل لحيته ويترك شعر رأسه ينمو طويلا . وهم أول شعب فى العالم عرف الختان ، وحينما يكتبون أو يحيون فانهم يحركون أيديهم من اليمين إلى اليسار ، ولهم نوعان من الكتابة أحدهما مقدس والآخر عام .

والمصريون مفرطون فى التدين أكثر من أى شعب آخر ، ويرتدون ثياباً من الكتان الابيض النظيف . ويحلق الكهنة شعر أجسامهم يوما بعد آخر بدافع النظافة ، ويستحمون مرتين يومياً بالماء البارد ومرتين كل ليلة ..

ولقد قال لى كهنة مصر أن مينا كان أول ملك حكم مصر ، وأنه هو الذى أنشأ ضفتين لحماية مدينة ممفيس من غوائل الفيضان ؛ فقبل عهده

كان فيضان النيل يطغى على التلال الرملية التى تحد مصر من ناحية ليبيا وعندما أقام الضفتين عند المنحنى الذى يتكون جنوب ممفيس بحوالى مائة فورلونج جفف المجرى القديم وأنشأ مجرى جديداً يتوسط خطى التلال الجانبين .

وقد حكم ثلثمائة وثلاثون ملكا مصر بعده . وقال لى الكهنة أنه كان من بين هؤلاء الملوك ثمانية عشر من الاثيوبيين وملكة مصرية واحدة أما بقية الملوك فكانوا من المصريين ؛ وكانت الملكة تحمل نفس اسم ملكة بابل نيتوكريس ، وقيل أنها اعتلت العرش بعد أخيها الذى كان ملكا على مصر فقتله الشعب ونصبها ملكة عليه . ولقد قررت نيتوكريس أن تثأر لأخيها ، ورسمت لذلك خطة ماكرة أبادت بها عدداً كبيراً من المصريين ذلك أنها أنشأت صالة كبيرة جداً تحت الأرض وتظاهرت بأنها ستقيم حفلا لافتتاحها . ودعت لهذا الحفل جميع من كانت تعرف أنهم اشتركوا فى التآمر على أخيها وقتله . وبينما كان المدعوون منهمكين فى تناول الطعام فتحت الملكة قناة سرية كبيرة فتسرب منها ماء النهر وأغرق جميع من فى القاعة . وبعد أن تم لها الثأر لأخيها تطهرت من الاثم الذى ارتكبته بالقاء نفسها فى كومة من الرماد .

وخلفها كثيرون من الملوك الذين لم يصيبوا أى حظ من الشهرة ، إلى أن تولى العرش الملك سيزوستريس ، وكان أول ما فعله هو أن سير اسطولا من السفن الحربية من الخليج العربى على طول بحر ارتريا ، وكان يخضع الشعوب التى يمر بها إلى أن وصل فى النهاية إلى بحر تتعذر الملاحة

عقبه بسبب قلة غوره ، فعاد إلى مصر حيث حشد جيشاً جراراً وزحف براً عبر القارة مخضعاً كل دولة توجد فى طريقه . وكان كلما صادف شعباً عنيداً يشتبك معه فى القتال ، ويقاتله ببسالة دفاعا عن حريته ، يقيم أعمدة فى بلاده يحفر عليها اسمه واسم بلاده ، وكيف أنه جاء إلى هـذه البلاد وأخضع أهلها بقوة السلاح ، أما إذا استسلم الشعب بلا مقاومة فإنه - أى سيزوستريس - كان يقيم الأعمدة ويحفر عليها - بالاضافة إلى تلك المعلومات - رمزاً معينا يدل على أن هذا الشعب شعب من النساء مجرد من الصفات العسكرية .

ولقد اختفت الأعمدة التى أقامها سيزوستريس فى الدول التى أخضعها كلها تقريباً ، ولكنى رأيت بعضها بنفسى فى ذلك الجزء من سوريا المعروف بفلسطين ، ولاحظت الرمز بوضوح .

وقال لى الكهنة المصريون أنه عند عودة سيزوستريس إلى مصر ومعه جماهير كبيرة من الدول التى أخضعها ، استقبله أخوه الذى كان الملك قد عينه نائباً عنه لحكم البلاد أثناء غيبته، ودعاه إلى وليمة حضرها هو وزوجته وأولاده . وعمد الأخ إلى تكديس كومة كبيرة من الأخشاب حول البناء الذى أقيمت المأدبة فيه ، ثم أشعل فيها النار . وعندما اكتشف سيزوستريس ماحدث ، تشاور مع زوجته فى الحال ، فنصحته بأن يضع اثنين من أولادهما الستة كقنطرة فوق النار يعبرها الباقون إلى الخارج ونفذ الملك نصيحة زوجته، فاحترق اثنان من أبنائه ونجا الباقون، وبعدئذ عاد الملك إلى قصره ، وثأر من أخيه . . وبعد ذلك عمد إلى استخدام

عشرات الألوف من الأسرى فى حفر شبكة القنوات المائية الكبيرة الموجودة الآن فى مصر ، وبذلك استطاع تغيير وجه البلاد . . وكانت غايته من ذلك إمداد سكان المدن البعيدة عن مجرى نهر النيل بالماء العذب بعد أن كانوا يشربون ماء الآبار .

ويقال أن سيزوستريس وزع الأراضى الزراعية على السكان ، بعد أن قسمها إلى أجزاء مربعة متساوية المساحة . وكان يحصل على الجزء الرئيسى من دخل إيجار هذه الأراضى عاما بعد عام . وكان إذا اتفق وطغى النيل على جزء من أراضى أحد المواطنين ، ذهب هذا المواطن إلى الملك وقص عليه ماحدث . وكان الملك يرسل حينذاك أشخاصاً للتأكد من الحقيقة وقياس القطعة التى أزالها النهر ومدى خسارة صاحبها ثم يخفض المطلوب منه تبعا لقيمة الخسارة . ولهذا فاننى أعتقد أن المصريين كانوا أول شعب عرف علم الهندسة الذى انتقل بعدئذ إلى اليونان. أما المزولة فاعتقد أن اليونان تلقوها عن البابليين .

ولم يكن سيزوستريس ملكا على مصر فقط ، وإنما كان ملكا على أثيوبيا أيضاً ، وكان هو الملك المصرى الوحيد الذى حكم تلك البلاد، وخلف فيها ـ تذكاراً لحكمه ـ تماثيل حجرية هائلة أمام معبد فالكان . ولقد حاول داريوس ـ بعد ذلك بسنوات طويلة ازالة هذه التماثيل لوضع تماثيله فى مكانها ولكن كهنة المعبـــد منعوه من ذلك قائلين أن سيزوستريس المصرى نجح فى اخضاع الاسقوثيين، أما هو ففشل فى ذلك

وعلى أثر موت سيزوستريس ، خلفه على العرش إبنه فيرون . ولم

يكن رجلا عسكريا نظراً لأنه أصيب بالعمى بسبب الظروف التالية .
كان النيل قد بدأ يفيض كالعادة ، وكان الفيضان مرتفعاً جداً ، فغمر الحقول بالماء ، وغضب الملك ، فالتقط رمحه وقذف به بعنف فى مجرى النهر ، وفى التو أصيب بمرض فى عينيه ، وبعد فترة فقد قوة إبصاره .
واستمر ضريراً عشر سنوات ، وأخيراً ، وفى العام الحادى عشر وصلته نبوءة من باتو تقول « إن فترة عقوبته قد انتهت ، وأنه يستطيع أن يستعيد بصره إذا غسل عينيه ببول امرأة حافظت على اخلاصها لزوجها ، ولم تفضل عليه رجلا آخر » . ومن ثم بادر الملك فغسل عينيه ببول زوجته ، فلم يرتد اليه بصره ، فمضى فى التجربة باستخدام بول نساء أخريات ، إلى أن شفاه بول احداهن فى النهاية . وعندئذ أمر بجمع جميع النساء اللاتى لم يشفه بولهن ، بما فيهن زوجته ، واحرقهن جميعاً ، ثم اتخذ من المرأة التى شفاه بولها زوجة له . .

الفصل العاشر

قصة رعمسيس

عندما مات بريتوس ، خلفه رعمسيس على العرش . وقد أقام بعض الآثار من بينها البوابة الغربية بمعبد فالكان ، والتمثالان اللذان يقفان أمام هذه البوابة . ولقد قال لى الكهنة إن الملك رعمسيس كان يملك ثروة هائلة لم يدانيه فيها أحد ممن سبقوه ، ولكى يحافظ على هذه الثروة الهائلة ، قرر أن ينشىء فرقة كبيرة من الأحجار المنحوتة، على أن يكون أحد جدرانها جزءاً من جدار قصره الخارجى . وبعد أن اطلع البناء على التصميم ، قرر هذا أن يضع فى هذا الجدار حجراً يستطيع رجلان أن يرفعاه من مكانه بسهولة . وعندما تم إنشاء هذه الغرفه ، نقل الملك كنوزه وثروته إليها . . ومر زمن ، وأصيب البناء بمرض ، ولما أحس أن نهايته قد دنت استدعى ولديه ، وقص عليهما قصة الحجر المتحرك فى غرفة كنوز الملك، وحدد لهما موقعه بالدقة ، وأمرهما بالاحتفاظ بالسر إلى أن يموت ، وبعدئذ يمكنهما أن يصيبا من ثروة الملك مايريدان . وقد كان . فلما مات البناء ، ذهب ابناه إلى الغرفة السرية ، واستوليا على مبلغ كبير من المال المحفوظ بها .

وحينما زار الملك غرفة كنوزه ، دهش عندما لاحظ أن المال الموجود فى بعض الآنية نقص كثيراً ، ولكنه لم يستطع أن يركز ريبته فى أحد لأن أختام الغرفة سليمة ومتاريسها فى حالة جيدة . ومع ذلك فإنه يلاحظ، كلما زار الغرفة، توالى نقص الأموال المحفوظة بها . والواقع أن اللصين لم يكفا عن السرقة ، وأخيراً قرر الملك أن ينصب بعض الفخاخ بالقرب من أوعية حفظ النقود . فعندما جاء اللصان لمعاودة السرقة، سقط أحدهما فى أحد تلك الفخاخ . وحينما أدرك أنه من الهالكين، نادى أخاه ، وحدثه بما وقع له ، وناشده أن يبادر بقطع رأسه وأخذها معه حتى لا يعرف الملك شخصيتهما فيقضى عليهما معاً . وتحت ضغط الظروف وافق الأخ على فصل رأس أخيه عن جسده . ثم أخذها معه إلى المنزل .

وفى فجر اليوم التالى ، جاء الملك إلى الغرفة . فأدهشه أن يجد جثة اللص فى الفخ بدون رأس ، بينما المزاليج والأختام سليمة . وأمر الملك بتعليق جثة اللص فى الساحة . وعين عدداً من جنوده لمراقبة أى شخص يقترب منها والقبض عليه إذا تبين من تصرفاته أنه يعرف صاحب الجثة وعندما سمعت أم اللص بعرض جثة ابنها ، آلمها ذلك أشد الالم وراحت تحث ابنها الثانى ليستعيد الجثة . وهددته بفضح أمره إن لم يفعل .

وأسقط فى يد اللص الثانى، وأخيراً رضخ لطلب أمه ، وراح يفكر فى وسيلة تمكنه من الاستيلاء على جثة أخيه بغير أن يضبطه الحراس . وأخيراً هداه تفكيره إلى الحيلة التالية : وضع قربتين أو ثلاث مملوءة

بالنبيذ فوق الحمير ، وقادها أمامه نحو المكان الذى يوجد الحرس به . وتظاهر بأنه يعيد توازن بعض القرب ، وخفف رباطها ، فبدأ النبيذ ينسكب على الأرض . وهنا أخذ اللص يلطم رأسه بيديه ، ويصرخ . وعندما رأى الحرس النبيذ ينسكب على الأرض فرحوا وتهللوا ، واندفع كل منهم نحو الحمير وهو يحمـــل وعاء ليملأه بالنبيذ . فتظاهر اللص بالغضب وراح يشتمهم . فبذلوا قصارى جهدهم لتهدئة ثائرته ، إلى أن هدأ . وقاد اللص حميره إلى جانب الطريق ، وتظاهر بأن يعيد تنظيم القرب ، وفى الوقت ذاته راح يثرثر مع الحراس إلى أن اطمأنوا إليه فدعاهم لشرب بعض الخمر فوافقوا شاكرين . .

وحينما لعبت الخمر برؤوس الحراس غلبهم النعاس على أمرهم ، وتريث اللص إلى أن أظلمت الدنيا ثم نقل الجثة إلى المنزل

ولما عرف الملك بنبأ سرقة جثة اللص تملكته الحيرة والغضب ، فقرر اقتناص هذا اللص الذكى مهما كلفه ذلك من ثمن .. فأرسل ابنته إلى المواخير العامة ، بعد أن أمرها باستقبال أى زائر ، وأن تطلب إليه أن يحدثها عن أمهر عمل وأرذل عمل أتاه فى حياته . فإذا حدثها أحدهم بقصـــة اللص ، فعليها أن تستبقيه وألا تسمح له بالانصراف . ونفذت الابنة أمر أبيها ، وما كاد اللص يسمع القصة حتى فطن إلى سببها فقرر أن يتحدى ذكاء الملك ورسم لذلك خطة : حصـل على جثة رجل مات حديثاً وقطع أحد ذراعيه من عند الكتف وخبأه تحت ردائه .

ثم ذهب لزيارة بنت الملك . فعندما ألقيت عليه السؤال المعهود ،

أجاب بأن أفظع عمل ارتكبه هو قتل أخيه وفصل رأسه عن جسده عندما سقط فى فخ نصبه لى الملك فى غرفة كنوزه ، وأنه استطاع أن يسخر من حرس الملك ويسرق جثة أخيه . وما كادت ابنة الملك تسمع ذلك حتى تعلقت به ، إلا أنه كان قد انتهز فرصة ظلام الغرفة ، وقدم لها ذراع الميت . فامسكت بها بعنف . بينما لاذ هو بالفرار .

وما كاد الملك يسمع نبأ خدعة اللص الجديدة حتى أكبره . فبعث رسلا إلى جميع المدن يعد فيها بالعفو عن اللص ومنحه مكافأة ضخمة إذا كشف عن شخصيته .. فاستغل اللص وعد الملك وتقدم إليه بشجاعة وأعجب رعمسيس بذكاء اللص وسعة حيلته . فعفا عنه وزوجه ابنته ..

ولقد قال لى الكهنة أن المصريين تمتعوا برخاء كبير أثناء حكم رعمسيس، ولكن خليفته كان رجلا شريراً ، فأغلق المعابد ومنع المصريين من تقديم القرابين والذبائح للآلهة . وسخرهم فى بناء الأهرامات .. فلما مات وتولى ابنه العرش ، أعاد فتح المعابد ، وأزال كل معالم الظلم والكبت التى اتسم بها حكم أبيه ..

الفصل الحادي عشر

قمبيز

توالى الملوك على مصر ، إلى أن اعتلى عرشها الملك أمازيس ..

وفى عهد هذا الملك سير الملك قمبيز إبن سايروس حملته على مصر التى أشرنا إليها فى مستهل الفصل التاسع . وكان جيش قمبيز مؤلفاً من جنسيات مختلفة تنتمى إلى الدول التى أخضعها لحكمه ، ومنهم الأيونيون والأيوليك اليونانيون . أما سبب الغزو ، فهو أن قمبيز أرسل للملك أمازيس ـ بناء على نصيحة رجل مصرى غاضب على أمازيس لأنه جرده من زوجته وأولاده ونفاه إلى فارس ـ يطلب يد ابنته ، فلما صارح الرسول الملك أمازيس برغبة الملك قمبيز تملكته الحيرة الشديدة ، فقد كان يخشى قوة الفرس المتزايدة ، ولم يدر هل يوافق على هذا الزواج أم يرفضه ، لأنه كان واثقاً من أن قمبيز لن يتقبل ابنته كزوجة ولكن كحظية وأخيراً استقر رأيه على أن يرسل له الأميرة تيتيتس ابنة الملك المتوفى أبريس ، وهى امرأة طويلة القامة ، رائعة الجمال ، كانت آخر الأحياء من أسرة أبيها . وجاء أمازيس بهذه المرأة ، وألبسها أفخر الثياب ، ومنحها حلياً وجواهر ثمينة ، ثم أرسلها إلى فارس كما لو كانت ابنته ، وعندما استقبلها قمبيز وناداها باسم أبيها قالت له : « مولاى يبدو لى أنك لم تفطن إلى

الخدعة التي دبرها لك أمازيس» . وقصت عليه ما فعله أمازيس ، فثارت ثائرة قمبيز ، وسير جيوشه لغزو مصر . .

تلك هي قصة غزو مصر كما رددها الفرس،إلا أن هناك قصةأخرى تقول أن أحد جنود أمازيس المرتزقة ، وكان اسمه فينس ، وكان مقاتلا باسلا ، شديد الحكم ، اختلف مع مولاه ، فهجر خدمته ، وهرب إلى فارس في الوقت الذي كان قمبيز يفكر فيه في الهجوم على مصر . فأفضى إليه بمعلومات ثمينة ونصحه بسلوك الصحراء .

وأوفد قمبيز رسولا لملك بلاد العرب يستأذنه في التصريح له بعبور الصحراء بجيشه . فوافق ملك العرب على ذلك ، وتعاهد هو وقمبيز على الاخلاص للوعد .

واتفق أن مات امازيس في تلك الأثناء ، وارتقى ابنه بسامنيتوس عرش مصر ، وحينما سمع بقدوم قمبيز لغزو بلاده حشد جيشه لملاقاته . .

وعبر الفرس الصحراء،وأقاموا معسكرهم بالقرب من معسكر الجيش المصري الذي أقيم في مكان قريب من النيل اسمه بليوسياك . وكان المرتزقة في جيش مصر قد غضبوا لخيانة زميلهم فنيس ، ولما كان هذا قد خلف أولاده في مصر ، فقد أحضروهم إلى معسكر الجيش المصري وقتلوهم أمام عيني أبيهم ، ثم اشتبكوا مع الفرس في قتال عنيف ، أسفر عن سقوط ضحايا كثيرة من الجانبين ، وأخيراً انهزم المصريون . .

ولقد رأيت منظراً عجيباً فى المكان الذى دارت فيه رحى المعركة . كانت عظام القتلى مبعثرة فى كومتين على أرض ساحة القتال ، احداهما - وهى عظام جنود الفرس - فى جانب ، والأخرى - وهى عظام جنود مصر - فى الجانب الآخر . وقد تبينت ظاهرة غريبة ، فلو أنك أمسكت بحجر وضربت به جمجمة أحد جنود الفرس لتهشمت على الفور . أما جماجم الجنود المصريين فكانت من الصلابة بحيث يتعذر تحطيمها وقد قيل فى تعليل ذلك إن المصريين يحلقون رؤوسهم فى مرحلة مبكرة من الطفولة ، وهكذا فإن تأثير الشمس على العظام يكسبها صلابة . وهذا السبب نفسه يقلل من حالات الصلع بين المصريين عنها فى أية دولة أخرى. وهذا هو السبب فى صلابة جماجم المصريين. أما الفرس فيرسلون شعورهم ويرتدون عمائم ولهذا تكثر بينهم حالات الصلع ، وتكون جماجمهم هشة .

ما كاد المصريون يهزمون حتى تراجعوا إلى ممفيس حيث تحصنوا بداخل أسوارها ، فأوفد قمبيز رسولا عن طريق النهر يدعوهم للتسليم ، وما كاد المصريون يرون الرسول حتى تدفقوا من القلعة ودمروا السفينة التى كان يركبها ومزقوا بحارتها إرباً إرباً ، فحاصر قمبيز مدينة ممفيس إلى أن استسلمت له ، وهنا خاف الليبيون على مصير بلادهم المتاخمة لمصر . فسلموا لقمبيز بلا قتال . وقبلوا دفع جزية كبيرة ، كما أرسلوا له هدايا كثيرة .

وبعد سقوط قلعة ممفيس بعشرة أيام ، أراد قمبيز أن يختبر روح بسامنيتوس ملك مصر الذى لم يكن قد انقضى على ارتقائه العرش أكثر من ستة أشهر ، فأمر بوضعه فى أحد الضواحى ومعه كثيرين من المصريين ، وعرضه للاهانة .

فبدأ بأن أخرج ابنة الملك فى المدينة وهى مرتدية ثياب الرقيق ، وتحمل جرة لتملأها ماء . وكانت برفقتها كثيرات من العذارى بنات النبلاء وهن يرتدين ثياباً عائلة .

وعندما وصلت الفتيات إلى المكان الذى احتجز فيه آباؤهن ، انفجرن نائحات باكيات ، فبكى جميع النبلاء وناحوا بدورهم ، أما الملك فلم يذرف دمعة واحدة ، وإن خفض رأسه إلى الأرض . وبعد مرور موكب الفتيات ، جاء ابن الملك ومعه ألفان من الشبان المصريين فى مثل سنه وقد لفت الحبال حول أعناقهم ، ووضعت كمامات على أفواههم ، وكانوا جميعاً فى طريقهم للإعدام انتقاماً للرسول الذى قتل المصريين . ورأى الملك بسامنيتوس ابنه وهو يساق إلى الموت .

ولكنه ظل رابط الجأش برغم العويل والنحيب الذى ارتفع من حوله . وبعد مرور هذا الموكب رأى الملك الأسير رجلا عجوزاً كان صديقاً مقرباً إليه وقد تجرد من ثيابه وراح يستجدى .

وهنا انفجر بسامنيتوس باكياً : وحينما أبلغ الأمر لقمبيز تولته الدهشة . وأرسل من يسأل بسامنيتوس عن سر تصرفه هذا فأجاب

الملك الأسير : « يا ابن سايروس ، لقد جل خطبي على البكاء . ولكن مصير صديقي يستحق هذا البكاء .

فحينما ينحدر رجل من مكانة مرموقة إلى الحضيض بحيث يضطر للاستجداء ، فإن الإنسان لا يملك إلا أن يبكي من أجله . » . . . وعندما أبلغ هذا الرد لقمبيز رق قلبه، وأصدر أمره بالعفو عن أبناء بسامنيتوس وبناته وأمر باحضار الملك الأسير إليه .

ولكن الرسل تأخروا، فأدى ذلك إلى قتل ابن بساميتوس. ولكنهم أحضروا الملك نفسه أمام قمبيز الذي سمح له بالإقامة معه . وعامله بالحسنى جريا على مأثور عادات الفرس .

الفصل الثاني عشر

أعمال قمبيز

وبعد سقوط مصر قرر قمبيز القيام بثلاث حملات ، أحداها ضد القرطاجنيين ، والثانية ضد الآمونيين ، والثالثة ضد الاثيوبيين الذين كانوا يقيمون فى ذلك الجزء من ليبيا المتاخم للبحر الجنوبى . ورأى أن خير ما يفعله هو أن يرسل أسطوله ضد قرطاجنة ، وأن يرسل جزءاً من جيشه البرى لمهاجمة الآمونيين، بينما يذهب جواسيسه إلى اثيوبيا بدعوى تقديم هدايا لملكها ، وإن كانت مهمتهم الأساسية ملاحظة كل ما تقع عليه عيونهم .

وبينما كان قمبيز يعمل على إيجاد بعض من يلمون باللغة الاثيوبية لمرافقة رسله ، أصدر أمره للأسطون بالإبحار لغزو قرطاجنة ، ولكن الفينيقيين رفضوا الانصياع لهذا الأمر قائلين إنهم قرطاجنيون أصلا وبذلك عجز بقية رجال الأسطول عن تسييره . وبذلك أفلتت قرطاجنة من استعباد الفرس لها .

وعندما عثر قمبيز على الرجال الذين يعرفون االغة الأثيوبية ، أفضى اليهم قمبيز بما يريد منهم أن يبلغوه لملك أثيوبيا ، وحملهم بالهدايا التى يريد تقديمها اليه .

وحينما وصل الوفد إلى أثيوبيا ، قدم الهدايا التى معه لملك البلاد ، وقال له رؤساؤه : « لقد أوفدنا قمبيز ملك الفرس اليك لنبلغك رغبته فى أن يصبح صديقك وحليفك ، وعهد الينا بالتفاوض معك فى هذا الشأن وبتقديم هذه الهدايا تأكيدا لرغبته هذه . ولما كان ميرون الأثيوبى يعلم أنهم قادمون للتجسس ، فقد أجاب بقوله : « إن ملك الفرس لم يرسلكم بهذه الهدايا لأنه يرغب فعلا فى أن يصبح صديقاً حميما لى ، وإنما أرسلكم لتقصى شئون بلادى . ثم أن ملككم ليس رجلا عادلاً ، وإلا لما اغتصب أرض غيره ، ولما فرض الذل والعبودية على شعب لم يخطىء فى حقه . فخذوا له هذا القوس ، وقولوا له . . .

إن ملك أثيوبيا ينصح ملك فارس ـ بأنه حينما يستطيع الفرس أن يطلقوا السهام القوية كهذا السهم بمثل هذه السهولة ، فلا بأس عليه أن يأتى ومعه جيش يتمتع رجاله بقوة خارقة ليقابل شعباً عريقاً ـ وإلى ذلك الحين ، يحسن بقمبيز أن يشكر الآلهة لأنها لم تدخل فى عقول الأثيوبيين فكرة الاستيلاء على بلاد ليست لهم » . .

وما كاد ينتهى من حديثه حتى قدم القوس لأعضاء الوفد .

وأكرم ملك أثيوبيا وفادة الرسل ، وأطلعهم على كثير من غرائب بلاده ثم طلب اليهم العودة إلى مصر .

وعندما عاد الجواسيس إلى مصر ، وقدموا تقريرهم لقمبيز استولى عليه غضب جائح . وبادر فعبأ جيشه ، وزحف به لغزو أثيوبيا ، بغير أن يتخذ الحيطة لتموين جيشه بالمؤن ، أو يفكر فى أنه ذاهب لغزو بلاد

نائية جدا . ولكنه لم يصحب اليونانيين معه واكتفى بالقوة البرية . وعندما مر بطيبة ، ترك خمسين الف جندى من جيشه الرئيسى لمهاجمة الآمونيين بعد أن أمرهم بأسرهم وإحراق معبد جوبيتر . واستمر هو فى الزحف مع بقية جيشه . وقبل أن يقطع خمس المسافة إلى أثيوبيا نفذت مؤن جيشه ، وبدأ الجيش يقتات الحيوانات الضارية ؛ ولو كان قمبيز حكيما لعاد بجيشه إلى مصر ، ولكنه لم يبال بما بدأ يصادفه من صعاب واستمر فى الزحف ، فاضطر جنوده إلى أكل الأعشاب والحشائش حتى لا يهلكوا جوعاً . وما لبث الجيش أن وصل إلى منطقة رملية لاحياة فيها . فأقدم رجاله على عمل ينفر منه الآدميون . بدأ بعضهم يتراهنون ، فمن خسر الرهان . قتله زملاؤه وأكلوا لحمه مع زملائهم ، وعندما سمع قمبيز بهذه الأعمال ركبه الفزع ، وقرر العدول عن غزو اثيوبيا : فسلك فى تراجعه الطريق الذى سلكه عند قدومه بعد أن فقد أعدادا هائلة من جنوده ، فلما بلغ ممفيس سمح لليونانيين الذين كان قد استبقاهم بالعودة إلى بلادهم . وبهذا فشلت حملته على أثيوبيا .

أما الحملة ضد الآمونيين فبدأت رحلتها عن ممفيس إلى الواحات التى يسكنها الساميون . وتبعد هـــذه الواحة مسافة طويلة عن طيبة يستغرق قطعها مسيرة سبعة أيام عبر أرض رملية يطلق عليها باغتنا « جزيرة المباركين » . ومن عجب أن الحملة التى خرجت للزحف على طيبة اختفت فى الطريق ولم يسمع أحد عنها شيئاً بعد ذلك .

ويقول الآمونيون فى تفسير ذلك أنه ما كادت الحملة تتوسط الطريق

حتى هبت عاصفة قاتلة من الجنوب اختنق الجيش كله بين دواماتها الرملية فهلك رجاله جميعاً

وحوالى هذا الوقت وصل قمبيز إلى ممفيس، وظهر (أبيس) للمصريين، وما كاد هذا الإله يظهر حتى ارتدى المصريون أحسن ثيابهم وراحوا يحتفلون بالمناسبة السعيدة. فاغتاظ قمبيز لذلك واستدعى الضباط المسئولين عن المدينة، وأخذ يستجوبهم فى السر فى فرح المصريين بعد عودته من رحلته الفاشلة وضياع معظم قواته، فأجاب الضباط بأن المصريين متهللون لأن إلهاً من آلهتهم ظهر بعد طول احتجاب؛ وحينما سمع قمبيز ذلك قال لهم أنهم كاذبون، وماداموا كاذبين فقد حق عليهم جميعاً الموت

وإذ قتل قمبيز الضباط استدعى الكهنة وألقى عليهم السؤال نفسه فتلقى منهم الإجابة ذاتها وعندئذ أمرهم باحضار أبيس إليه؛ فذهبوا لاحضاره؛ وكان هذا الإله عجلا ولدته بقرة لم تنجب بعده شيئاً، ويقول المصريون القدماء إن ناراً تنزل من السماء على هذه البقرة فيجعلها تحمل أبيس. وكان أبيس أسود اللون، فى جبهته نقطة بيضاء، وعلى ظهره رسم نسر، وشعر ذيله مزدوج

وعندما عاد الكهنة ومعهم أبيس؛ جن جنون قمبيز، واستل خنجره وهوى به على بطن الحيوان ولكنه أخطأه وأصاب فخذه. وعندئذ ضحك وقال للكهنة:

« أيها الحمقى، هل تظنون أن الآلهة من لحم ودم! لكنكم ستدفعون الثمن غالياً لأنكم سخرتم منى »

ثم أمر بعض ضباطه بجلد الكهنة وقتلهم إذا استمر المصريون في احتفالاتهم وابتهاجهم . وهكذا أوقفت هذه الحفلات في طول البلاد وعرضها ، بينما جلد الكهنة . أما أبيس فظل جريحاً في معبده فترة من الوقت ثم نفق ، فدفنه الكهنة سراً بغير علم قمبيز .

ولقد كان المأثور عن قمبيز أنه مصاب بخلل عقلي . ولكن المصريين يقولون أن جنونه ازداد منذ ذلك الحين . وكان أول عمل جنوني أقدم عليه هو قتل أخيه سمرديس الذي كان قد أعاده إلى فارس بدافع الغيرة ، وذلك لأنه استطاع أن يشد القوس الذي أرسله ملك أثيوبيا (والذي فشل جميع الفرس في شده) مسافة لا تزيد على إصبعين . وكان قمبيز قد علم ـ بعد رحيل أخيه إلى فارس ـ أن رسولا جاءه من فارس وقال له أن سمرديس اعتلى العرش هناك وقد بلغ رأسه عنان السماء ! !

وهنا استبد الخوف بقمبيز خشية أن يسعى أخوه لقتله والتخلص منه ـ فأوفد بركساسيس ، وهو رجل كان يثق به ثقة عمياء ـ إلى فارس، وأمره بقتل سمرديس . وقد نفذ الرسول المهمة . أما العمل الجنوني الثاني الذي ارتكبه قمبيز ، فكان قتل أخته التي جاءت معه إلى مصر كزوجة له برغم مجافاة زواج الأخ من الأخت لتقاليد الفرس ، ولكنه أرغم القضاة الفارسيين على اصدار فتوى بمشروعية هذا الزواج . ولم يكتف قمبيز بزواج أخته هذه ، وانما تزوج أخته الثانيه وهي التي رافقته إلى مصر وماتت على يده وكان سبب موتها أن زوجها قمبيز لاحظ أنها حزنت لموت أخيها سمرديس .

ولا عجب فقد كان قمبيز مصابا بالصرع .

ولم يقتصر جنون قمبيز على أفراد أسرته ، وإنما تعداه إلى الآخرين، فقد قتل ابن صفيه وموضع ثقته بركساسيس الذى خلصه من أخيه لا لشيء إلا لأنه أراد أن يثبت أنه يستطيع أن يصيب قلب أى انسان بسهم يطلقه من قوسه ، ولم يجد أمامه إلا هذا الشاب التعس ، كما أنه وأد اثنى عشر نبيلا فارسيا أحياء بغير أن يوجه اليهم أى اتهام . .

وحينما لاحظ كردسيوس ملك ليديا السابق طغيان قمبيز وتماديه فى إراقة الدماء ، حاول أن يبذل له النصح ، فجن جنون قمبيز ، وراح يوبخ كردسيوس بكل عنف ، ثم التقط قوسه ليطلقه عليه ، ولكن كردسيوس غادر الغرفة ركضاً وهرب، فلما تبين لقمبيز أنه لن يستطيع قتله بقوسه ، أمر خدمه بمطاردته وقتله . ولكن الخدم كانوا يعرفون طباع مولاهم جيداً ، فلم ينفذوا الأمر ، وخبأوا كردسيوس ، لعل قمبيز يثوب إلى رشده ، فيعفو عنه حينما يعلم أنه على قيد الحياة ، والواقع أن قمبيز سر حينما علم أن كردسيوس لايزال حياً يرزق ، إلا أنه قتل الخدم لأنهم لم ينفذوا أمره فور صدوره .

وهكذا أخذت فظائع قمبيز تتوالى أثناء اقامته فى ممفيس ، فراح يفتح المقابر ويتسلى برؤية الجثث فيها برغم مافى ذلك من انتهاك لحرمة الموتى وايذاء لشعور المصريين .

الفصل الثالث عشر

موت قمبيز

بينما كان قمبيز بن سايروس يتخبط فى جنونه وهو لا يزال يتسكع فى مصر ، تمرد عليه الأخوان ماجى ؛ وكان قمبيز قد ترك أحدهما فى فارس للاشراف على شئون أسرته ، فكان هو أول الاخوين الثائرين ذلك أن هذا الثائر كان يعرف أن سمرديس قد قتل ، وأن موته أخفى عن الجميع ، فلم يكن يعلم به غير عدد قليل من الفرس ، بينما كان السواد الأعظم منهم لا يزال يعتقد أنه لا يزال على قيد الحياة ، وعلى هذا الأساس وضع الثائر خطته ، وضرب ضربة باسلة تستهدف الحصول على التاج . وكان له أخ كما قلت من قبل ، وشاء القدر أن يكون هذا الأخ شبيهاً شبهاً بسمرديس بن سايروس الذى قتله أخوه قمبيز ؛ ولم يقتصر التشابه بين هذا الأخ وسمرديس على الشكل ، بل كانا متماثلين أيضاً فى الاسم ، وبعد أن أقنعه أخوه باتزيتس بأنه سيتولى اتمام كل شىء بنفسه أخذه وجعله يجلس على العرش الملكى . وبعد أن فعل ذلك أوفد الرسول إلى جميع الأماكن ؛ إلى مصر وإلى كل مكان ، ليعلنوا القوات بأن عليهم - منذ الآن فصاعدا - أن يطيعوا سمرديس بن سايروس لا قمبيز .

ونفذ الرسل الأمر الذى صدر إليهم فى فارس ؛ أما الرسول الذى أوفد إلى مصر فما كاد يصل إلى اجبتانا فى سوريا ويجد قمبيز وقواته هناك حتى اندفع فى قلب الجيش واذاع التصريح الذى طلب إليه باتزيثس اذاعته ؛ وما كاد قمبيز يسمع التصريح حتى اعتقد بصحته كما اعتقد أن بركسابس خدعه ولم يقتل أخاه سمرديس فالتفت إليه متسائلا فقال هذا إن النبأ غير صحيح لأن سمرديس مات تنفيذاً لمشيئته وقال بركسابس لقمبيز : « فى رأيى أنه يحسن بنا أن نبعث من يجىء لنا بهذا الرسول وأن نستجوبه بدقة عن أمره بمطالبتنا باطاعة الملك سمرديس » .

ووافق قمبيز على رأى بركسابس وبعث ببعض رجاله للحاق بالرسول فلما جىء به سأله بركسابس « لقد أسمعتنا رسالة قلت أنها من سمرديس ابن سايروس ؛ والآن أجب على سؤالى بالصدق واذهب آمناً فى طريقك هل استقبلك سمرديس وأصدر إليك أوامره أم ابلغك هذه الاوامر عن طريق أحد ضباطه ؟ فأجاب الرسول : واقع الأمر أن عينى لم تقعا على سمرديس بن سايروس منذ قاد قمبيز جيشه إلى مصر أما الرجل الذى أصدر إلى الأمر فهو ماجوس الذى عهد إليه قمبيز بتصريف شئون أسرته ولكنه قال لى أن سمرديس بن سايروس أرسل إليكم هذه الرسالة ولم يكن فيما قاله الرسول شىء غير الصدق . وعندئذ قال قمبيز لبركسابس انك برىء من كل ذنب يابركسابس لأنك لم تتخاذل عن تنفيذ أمرى ؛ لكن قل لى من هو الفارس الذى يستطيع أن ينتحل اسم سمرديس ويتمرد على ؟ فأجاب بركسابس أعتقد يامولاى اننى استطعت ادراك الموقف

كله . إن الرجال الذين تمردوا ضدك هم الاخوان ماجى باتزيذس الذى عهدت إليه بالاشراف على شئون أسرتك واخوه سمرديس .

وما كاد قمبيز يسمع اسم سمرديس حتى أيقن من كلمات بركسابس وتذكر حلمه القـــديم الذى رأى سمرديس فيه جالساً على العرش وقد وصل برأسه إلى السماء . وعندما أيقن أنه قتل أخاه بلا داع ؛ بكى وتحسر ثم انتفض فجأة وعول على السير إلى فارس على رأس جيشه للقضاء على ثورة الأخوين ماجى . ولكنه ما كاد يثب حتى انحل زرار غمد سيفه . فانغرس سنه فى فخذه وجرحه فى نفس الموضع الذى سبق له أن طعن العجل أبيس فيه . وعندما شعر قمبيز بأنه أصيب بالجرح الذى سيقضى عليه سأل عن اسم المكان الذى يوجد فيه ، فلما قيل له أنه اجبتانا تذكر النبوءة التى سبق أن قالها له أحد العرافين من أنه سيموت فى اجبتانا ، فانتابه فزع قاتل ، وقال بصوت متهدج : إذن فقد قدر لقمبيز ابن سايروس أن يموت هنا ! !

وتسمم الجرح . وبعد أيام مات قمبيز . .

ولم يجرؤ أحد ممن كانوا يعلمون بقصة مصرع سمرديس على المجاهرة بالحقيقة خشية أن يتهم بالاشتراك فى قتله .

وحكم سمرديس البلاد وهو مطمئن بينما ظل الشعب يعتقد أنه سمرديس بن سايروس . وانقضت على هـــذا سبعة شهور وهى الشهور التى تكمل حكم قمبيز ثمانى سنوات . . ثم . . . .

الفصل الرابع عشر

كيف ارتقى داريوس العرش

اكتشفت حقيقة سمرديس فى الشهر الثامن من ارتقائه العرش على النحو التالى :

كان هناك رجل اسمه اوتانس بن فارناسيس يتمتع بثراء ومكانة رفيعة تضارع أعظم رجال فارس جميعاً ؛ وكان اوتانس هذا أول من ساورته الريبة فى أن الملك الجالس على العرش ليس هو سمرديس ابن سايروس ، وكان مما دفعه إلى هذا الاعتقاد أن الملك لم يغادر القلعة منذ تتويجه ، كما أنه لم يستدع أى نبيل من نبلاء الفرس للمثول أمامه . وما أن قويت ريبته حتى شرع يعمل للتأكد من الحقيقه .. كانت إحدى بناته واسمها (فديما) زوجة لقمبيز ، وقد استولى ماجوس على هذه الزوجه بين ما استولى عليه من زوجات قمبيز . ومن ثم أرسل اوتانس إلى ابنته هذه رسالة يسألها فيها :

« مع من تنامين فى فراش واحد؟ هل مع سمرديس بن سايروس أم مع رجل آخر ؟ »

وأجابت فديما على ذلك بقولها إنها لا تعلم لأنها لم تسبق لها رؤية

سمرديس بن سايروس من قبل ، فبعث إليها أبوها برسالة أخرى يسألها فيها : « إذا كنت لا تعرفين سمرديس بن سايروس فاسألى الملكة أتوسا مع من تعيش - لأنها لاريب تعرف أخاها » . وأجابت ابنته على ذلك بقولها : « ليس فى استطاعتى أن أتحدث مع الملكة أتوسا ، ولا مع أية امرأة تقيم فى القصر ، لأنه ما كاد ذلك الرجل يرتقى العرش حتى فصل زوجاته جميعاً عن بعضهن ، وجعل كل واحدة منهن تقيم فى جناح خاص »

وزاد هذا الرد شكوك أوتانس ، ورأى أن يحسم الأمر تماماً ، فبعث لابنته بالرسالة التالية : « يا ابنتى . إنك من دم نبيل ، ولهذا فانك لن تترددى فى التضحية من أجل فارس .. إذا لم يكن هذا الرجل هو سمرديس بن سايروس ، وكان الرجل الذى ارتاب فيه ، فيجب ألا يترك ليكون سيدك وسيد الفرس جميعاً بغير أن يلقى جزاءه . والآن أفعلى ما سأقوله لك .. عندما يجىء دورك ليبيت الملك معك ليلة ، تحسسى أذنيه عندما ينام وتأكدى هل له أذنان أم لا . فإذا كانت له أذنان فهو ولاشك سمرديس بن سايروس ، أما إذا لم تجدى له أذنين فاعلمى أنه سمرديس ماجوس » .. وعندما قضى سمرديس ليلته مع ابنة أوتانس تحسست أذناه فلم تجد له أذنين . . فانتظرت حتى طلع اليوم التالى وبعثت تبلغ أباها بما حدث .

وبادر أوتانس فاتصل باثنين من اخصائه ، اسباتنس وجوبراياس وأفضى إليهما بالسر كله . وكان الرجلان قد ارتابا فى الامر بدورهما ، فعندما صارحهما أوتانس بالأسباب التى جعلته يوقن أن الجالس على عرش

الفرس ليس سمرديس بن سايروس . قـــــرر كل منهم أن يصطفى شخصاً آخر من الفرس ويفضى إليه بالسر ؛ فاختار أوتانس صديقه انتافرنس، واختار جوبراياس صديقه مجابايزس،واختار اسباتنس صديقه هايدرانس . وبعد أن أصبح عددهم ستة ، وصل داريوس بن هايستاسبس قادما إلى سوسا من فارس حيث كان أبوه يشغل منصب حاكم . ورأى الستة المتآمرين فى وصوله فرصة لضمه إليهم .

وبعدأن أصبحوا سبعة،تبادلوا القسم على الولاء والكتمان ، وأخذوا يتبادلون الرأى فى الموقف ، وعندما جاء دور داريوس للافضاء برأيه قال : كنت أعتقد أن أحداً غيرى لم يفطن إلى حقيقة أمر هذا الملك الدعى ، ولهذا جئت إلى هنا على جناح السرعة لأقتل هذا الملك المغتصب لكن يبدو أن الأمرمعروف لكم جميعاً ، ولهذا فاننى أطالب بقتل سمرديس ماجوس بلا إبطاء ».

وحينما حاول الآخرون ــ وكانوا جميعاً من كبار السن ــ التلكؤ بدعوى ضرورة التزام الحذر ، حذرهم داريوس من هذا التلكؤ وهدد بالذهاب بمفرده لقتل سمرديس وإعلان الحقيقة للشعب .

وإذ تبين لاوتانس أن داريوس جاد فى تهديده بدأ يتراجع عن رغبته فى التريث . . وحذا الآخرون حذوه .

وبينما كانت هذه المؤامرة فى حيز التدبير . وقعت الحوادث التالية : كان الاخوان ماجى يفكران فى أحسن وسيلة للتصرف . وقررا أن

يتخذا من بركسابس صديقاً لهما ، نظراً لأنهما كانا يعلمان إلى أى مدى قسا قمبيز عليه حينما قتل ابنه بسهم أطلقه من رمحه أمام عينيه ، كما كانا يعلمان أن سمرديس بن سايروس مات بيديه ، فضلا عن أنه يحتل مكانة رفيعه بين الفارسيين . ومن ثم استدعياه واتخذا منه صديقاً ؛ واستطاعا أن ينتزعا منه وعداً ، ثم قسما بالتزام الصمت حيال خدعتهما للفرس ، وتعهدا ــ مقابل ذلك ــ بأن يقدما له آلاف الهدايا من كل نوع ولون وعرضا عليه أن يدعوا الفرس إلى اجتماع عام فى ساحة القصر ، وأن يقف هو فوق أحد القباب ويطالب الشعب بأن يؤيد حكم سمرديس بن سايروس دون غيره . وقد لجأ الاخوان ماجوس إلى هذا الاجراء لعلمهما يقوبان مكانة بركسابس الرفيعة بين الشعب .

وابدى بركسابس استعداده لتنفيذ هذه الخطة ؛ ومن ثم جمع الاخوان ماجى الشعب ووضعا بركسابس فوق أحدى القباب العالية ، وطلبا إليه أن يخطب فى الجماهير . . وكأنما نسى الرجل الدور الذى طلب إليه أن يلعبه ، أو تناساه ، فراح يحدث الشعب بما حدث وبما آل إليه مصير سمرديس بن سايروس ، وكيف أنه قتله بناء على أمر أخيه قمبيز .

وختم بركسابس خطابه مفضياً إلى الشعب بأن الجالس على عرش بلاده هو سمرديس ماجوس ، وصب اللعنات على رأس الفرس إذا لم يستعيدوا مملكتهم من الغاصب .

وعلى أثر ذلك قذف بركسابس بنفسه من حالق ، فسقط ميتاً .

وفى تلك الأثناء كان السبعة المتآمرون قد قرروا الهجوم على القصر بلا ابطاء . فانطلقوا منه غير عالمين بما فعله بركسابس . وبينما هم فى الطريق سمعوا بما حدث ، فتوقفوا عن التقدم وراحوا يتشاورون معاً ، وأخيراً استقر رأيهم على المضى فى تنفيذ خطتهم .

وعندما وصلوا إلى بوابة القصر لم يتعرض لهم أحد لأن الجميع كانوا يعرفون سمو مكانتهم ، فلما وصلوا إلى الساحة الكبرى التقوا ببعض الخصيان الذين يتولون ابلاغ رسائل الملك واستوقفهم الخصيان وسألوهم عما يريدون ، فلم يأبه المتآمرون بهم، وحاولوا المضى فى طريقهم فاعترضهم الخصيان . وهنا استل المتآمرون خناجرهم وأغمدوها فى صدور من حاول اعتراض سبيلهم من الخصيان ، فارتفع الصراخ والصياح .

واندفع المتآمرون إلى جناح الرجال . وكان الاخوان ماجى بداخله حينذاك ، فلما سمعا الجلبة ، خرجا على عجل لاستكشاف حقيقة الأمر فلما أدركا مدى الخطر المحدق بهما ، حاولا الالتجاء إلى السلاح، ولكن داريوس عاجل الملك الدعى بطعنة قضت عليه فى الحال، كماقتل زملاؤه أخاه . وأصيب اثنان من المتآمرين بجراح غير قاتلة .

وقطع المتآمرون رأس الملك الدعى ورأس أخيه ، وخرجوا إلى بوابات القصر وهم يصيحون، وقد حملوا الرأسين معهما. وراحوا ينادون الفرس ويبلغونهم بما فعلاه .

وفى ذلك اليوم ثار غضب الشعب ، وأخذ يفتك بالماجوسيين حتى كاد يفنيهم عن بكرة أبيهم ، لولا أن جاء الليل واختفى الماجوسيون فى بيوتهم .

وبعد انقضاء خمسة أيام ، خفت حدة العاصفه . فعقد المتآمرون اجتماعاً لدراسة الموقف ، واختلفت آراؤهم . فقال فريق بضرورة ترك الحكم للشعب ، وقال فريق آخر بضرورة حكم الصفوة ، ونادى الفريق الثالث بضرورة استمرار الحكم الملكى .

وكان داريوس على رأس الفريق الثالث. وراح كل فريق يحبذ رأيه بالأسانيد والحجج .

وأخيراً ، وبعد مناقشات طويلة ، انتصر رأى داريوس وفريقه .

وهنا برزت مشكله : من يكون الملك الجديد .

* * *

وقرر المتآمرون أن يكون الملك من بينهم ، واستقر رأيهم على أن يركبوا جيادهم فى فجر اليوم التالى ، ويخرجوا إلى ضاحية المدينة . ومن يصهل جواده أولا قبل شروق الشمس مباشرة يصبح هو الملك .

وكانت نتيجة هذا الاتفاق أن أصبح داريوس ملكا على الفرس .

وأعلن باقى المتآمرين الولاء للملك الجديد . .

ووافق الشعب على أن يكون داريوس ملكا عليه .

وتبعاً لتقاليد الفرس تزوج داريوس من ابنتى سايروس ، اتوسا وآرتيستون، كما تزوج بارمايس ابنة سمرديس بن سايروس ، وابنة اوتانس أيضاً . .

وعلى أثر ارتقاء داريوس العرش . قسم البلاد إلى عشرين قسما جعل لكل قسم منها حكومة عين لها حاكما . وحدد الجزية التى يجب على كل حكومة أن تدفعها له . .

الفصل الخامس عشر

ثورة بابل

أوفد داريوس حملة بحرية بقيادة اوتانس للاستيلاء على جزيرة ساموس. وما كادت الحملة تبحر حتى ثارت مدينة بابل على حكم الفرس بعد أن اتخذت جميع الاستعدادات اللازمة للدفاع ومقاومة الحصار؛ ذلك لأن البابليين انتهزوا فرصة الاضطراب الذى عم فارس عند افتضاح أمر سمرديس ماجوس، وما أعقبه من انتخاب داريوس الملك وراحوا يرتبون ثورتهم بغير أن يفطن إليهم أحد.

وعندما حان وقت تمردهم علنا اتخذوا الاجراء التالى : — جمعوا امهاتهم جميعاً فى مكان واحد، واختار كل رجل المرأة التى يريدها من بين نساء أسرته وضموهن إلى الأمهات.

أما بقية النساء فأخذوهن إلى مكان آخر وقتلوهن. وكانت فكرة الابقاء على النساء المختارات، استخدامهن لاعداد الخبز والطعام. أما سبب قتل الباقيات فهو رغبة الفرس فى عدم استنزاف مالديهم من طعام خشية أن يطول أمد الحصار.

وحينما علم داريوس بالأمر ، حشد قواته كلها ، وشن الحربّ على البابليين ، وزحف على بابل رأساً حيث ضرب عليها الحصار . ولكن البابليين لم يأبهوا بهذا الحصار . وراحوا يتسلقون القباب المشيدة على على اسوار مدينتهم ويسخرون من داريوس وجيشه الجـــرار ، بل لقد صاح أحد البابليين قائلا : ، لماذا تجمدون هكذا أيها الفرس ؟ لماذا لاتعودون إلى وطنكم ؟ إنكم لن تستطيعوا الاستيلاء على مدينتنا إلا بعد أن تلد الفرس فلوا ! . قالهـــا الفارسى وهو يعتقد أن الفرس لايمكن أن تلد فلوا

ومر عام وسبعة شهور ، ودب الاعياء فى داريوس وجيشه . ومع أن الفرس بذلوا كل محاولة للاستيلاء على المدينة،إلا أنجميع محاولاتهم باءت الفشل .

وأخيراً،وفى الشهر العشرين من الحصارحدث شيءعجيب لزوبايرس بن بجابايزس وهو أحد السبعة المتآمرين . ذلك أن فرساً عنده ولدفلوا، وحينما سمع لزوبايرس بذلك ذهب للتأكد من الخبر بنفسه،فلما استوثق منه تكتم الخبر ، وراح يفكر فىالأمر .

وتذكر كلمات البابلى الساخرة . وخيل اليه أن الوقت قد حان للاستيلاء على مدينة بابل .وذهب إلى داريوس وسأله إن كانالاستيلاء على بابل يهمه كثيراً ، فلما أجابه بالايجاب ، راح يفكر كيف يمكنه أن يفتح أبواب بابل للجيش الفارسى ، وأخذ يستعرض جمع الوسائل ولكنه لم يجد بينها وسيلة واحدة تقربه من النجاح غير تشويه وجهه والتقدم إلى العدو . ولم يتوان هذا المغامر فى تنفيذ خطته ، فقطع اذنيه وجدع أنفه وحلق شعره،وضرب نفسه حتى تورم لحمه.ثم ذهب للقاء داريوس

وصعق الملك حينما رأى هذا النبيل بهذا الحال المفزع ، فنزل من على عرشه وسأل زوبايرس بلهفة عمن شوه وجهه ، ولماذا ، وعندئذ أجاب الشاب .

ليس هناك إنسان ، غيرك يا مولاى ، يستطيع أن يمسني بسوء ، فأنا الذى فعلت ذلك بنفسي . لقد شوهت وجهى لأننى لم أستطع احتمال سخرية الأشوريين من الفرس .

فصاح داريوس : يا لك من رجل تعس . كيف تظن أن تشويه وجهك يمكن أن يؤدى إلى سقوط بابل . إننى لا أتصور أن يبلغ بك الجنون هذا الحد المخيف .

فقال زوبايرس : سأقول لك يا مولاى ما قررت أن أفعله ؛ لقد قررت أن نستولى على بابل ورسمت خطتى على هذا الأساس . فسأفر إلى العدو وأنا على هذا الحال . وعندما أدخل المدينة سأقول لهم إنك أنت الذى أمرت بتشويه وجهى وتعذيبى على هـــذا النحو . وأظن أنهم سيصدقوننى ويعهدون إلى بقيادة قواتهم . أما أنت فعليك أن تنتظر حتى اليوم العاشر بعد دخولى إلى المدينة ، ثم تضع ألف جندى من جنودك الذين لا تهمك التضحية بهم ، بلا سلاح ، عند بوابة سميراميس ؛ ثم انتظر بعد ذلك سبعة أيام ، وضع ألف جندى آخرين عند بوابات نينوس . ثم أنتظر عشرين يوماً بعد ذلك وضع أربعة الاف جندى بالقرب من بوابات شالدين . ولكن حذار أن يكون أحد من جميع هذه القوات مسلحاً بغير السيف وبعد انقضاء العشرين يوماً أصدر أمرك إلى الجيش بالهجوم على المدينة من جميع الجهات ، وضع لى قوتين من الفرس ، أحداهما عند بوابة بليان والأخرى عند بوابة سسيان لأنى أتوقع أن يقدم البابليون لى مفاتح مدينتهم بعد أن أحرز لهم انتصارات كثيرة .

وبعدئذ سأستولى أنا وجيشك على المدينة .

وبعد أن أفضى زوبايرس بهذه التعليمات للملك ركض نحو بوابات المدينة ، وهو يكثر من التطلع إلى الوراء شأن الهارب من شئ يخشاه . ورآه المراقبون البابليون الذين يقفون فوق القباب ، فأسرع بعضهم بالنزول ، وفتحوا أحد الأبواب فتحة صغيرة . وسألوه عمن يكون وعن السبب الذى حمله على المجئ . فأجاب بأن اسمه زوبايرس ، وأنه فر من صفوف الفارسيين وجاء اليهم لاجئاً .

وعند ما سمع حراس الباب ذلك ، أخذوه من فورهم إلى قضاة المدينة . وهناك راح يندب سوء حظه ويقول لهم إن داريوس أساء معاملته بالطريقة التى يرونها لأنه نصحه برفع الحصار عن المدينة لأنه ليس هناك أى أمل فى الاستيلاء عليها .. ثم مضى يقول : « ولقد جئت إليكم أيها البابليون لاثبت لكم الكسب العظيم الذى يمكنكم أن تحصلوا عليه ، والخسارة الفادحة التى ستحل بداريوس . فإنى أؤكد لكم أنه لن يفلت من القصاص بعد أن شوهنى على النحو البغيض الذى ترونه . »

وحينما رأى البابليون هذا الفارسى الكبير على هذا الحال المؤسف لم تساورهم الريبة فى أمره ، وأيقنوا أنه قال لهم الصدق ، وأنه جاء حقاً ليعرض عليهم صداقته ومعاونته ، ومن ثم أبدوا استعدادهم لتقديم كل مايطلبه ، وحينما طلب أن يكون قائداً لجزء من جيشهم ، أجابوه إلى طلبه ، فمضى ينفذ الخطة التى اتفق عليها مع داريوس .

فى اليوم العاشر من فراره ، قاد الفرق التى عهد بقيادتها اليه إلى الخارج وحاصر الألف جندى فارسى الذين أرسلهم داريوس طبقاً للاتفاق الذى تم بينهما ، وأبادهم عن آخرهم . وعندما تبين للبابليين أن

أعماله تتسم بالجرأة كـكلماته سروا أعظم السرور ، ولم يضعوا أية قيود
على تصرفاته . إلا أنه انتظر مرور الفترة التى اتفق عليها مع داريوس ،
وعندما حان الموعد المحدد انقض على الألفى جندى فارسى الذين كانوا
خارج الأسوار، وأفناهم أيضاً . وهنا راح جميع البابليون يثنون عليه .
ثم عاد فانتظر مجئ الموعد الثالث ، وهاجم بعده الأربعة آلاف جندى
فارسى الذين كانوا خارج الأسوار ، ونكل بهم . وبهذا تمت ثقة البابليين
فيه ، فأعطوه مفاتيح بوابات الأسوار ، وعهدوا اليه بقيادة الجيش كله .

وطبقاً للخطة الموضوعة ، شن داريوس هجوما على المدينة من جميع
الجوانب ، وبينما راح زوبايرس يتظاهر بمقاومة الهجوم الفارسى ، فتح
للفرس خلسة بوابتى سيسان وبليان فتدفق الفرس منهما ، واستطاعوا
الاستيلاء على المدينة .

وهكذا سقطت بابل للمرة الثانية . وبعد أن أصبح داريوس سيد
المدينةهدمأسوارها وحطم بواباتها لأنسايروس لم يفعل ذلكحينما استولى
على المدينة . ثم اختار حوالى ثلاثة آلاف رجل من زعماء بابل وأمر
بصلبهم ، بينما سمح للباقين بالبقاء فى المدينة ؛ ولـكى يحول دون زوال
الجنس الآشورى ، قدم لهم زوجات بدل النساء اللائى سبق للبابليين
أن ذبحوهن .

وكرم داريوس قائده زوبايرس أعظم تـكريم ، فكان يقدم له كل
عام أعظم الهدايا ، كما كان الفرس يبجلونه أعظم تبجيل . واختاره
داريوس رئيساً لحكومة بابل طوّل حياته ، ولم يفرض عليه دفع أية
جزية ، كما أسبغ عليه كثيراً من النعم ودلائل التـكريم .

الفصل السادس عشر

غزو داريوس لأسقوثيا

بعد سقوط بابل، قاد داريوس حملة لغزو أسقوثيا انتقاما من أهلها الذين غزوا ميديا فى غابر الزمان بعد أن أنزلوا هزيمة ساحقة بأهلها، وأصبحوا سادة على شمال آسيا لفترة تزيد على ثمانية وعشرين عاما .

وعندما بدأ داريوس يعد حملته على استوثيا ، أوفد عشرات الرسل إلى مختلف الأنحاء وهم مزودون بتعليمات الملك ، فكان على البعض تزويد الجيش بالقوات ، وعلى البعض الآخر تزويده بالسفن، بينما كان على غيرهم العمل على إقامة معابر للجيش على البسفور . وفى تلك الأثناء راح ارتابانوس بن هايستاسبس وشقيق داريوس يلح على الملك لكى يتنحى عن هذه الحملة مبينا له أنه من الصعوبة بمكان مهاجمه اسقوثيا ، وبرغم صواب نصيحة ارتابانوس إلا أنه فشل فى اقناع داريوس.ومن ثم كف عن اسداء النصح .

وعندما أتم داريوس استعداداته ، خرج بجيشه من سوسا .

وفى تلك الأثناء جاء رجل فارسى اسمه أوبازوس ، وكان أبا لثلاثة

شبان انضموا جميعاً إلى الجيش ، وتضرع لداريوس لكى يسمح ببقاء أحد أبنائه معه ، فأجاب داريوس أنه سيعفى أولاد الرجل الثلاثة من الذهاب مع الجيش ، فكاد الرجل يطير من الفرح ، ولكن داريوس أمر بقتل الأبناء الثلاثة . وهذا خلفهم داريوس ولكن بعد أن حرمهم من الحياة .

وعندما وصل جيش داريوس إلى أراضى الكادانيين على شواطىء البسفور حيث أقيم المعبر،ركب داريوس سفينة وذهب إلى جزر سيانيان التى يقول اليونان أنها كانت عائمة فى أحد الايام، وبعد أن زار داريوس المنطقة وفحصها ، عاد أدراجه إلى موضع المعبر الذى أنشأه له سامى اسمه ماندوكلس ، وكان جيشه قد التأم فى ذلك الحين ، وبلغ - بدون القوات البحرية - سبعمائة ألف مقاتل بما فيهم الخيالة. أما الأسطول فكان مكوناً من ستمائة سفينة .

وقد سر داريوس أيما سرور بالمعبر الذى أقيم على مضيق البسفور ، ولهذا فإنه لم يمنح ماندروكلس الجوائز المعتادة ، ولكنه منحه عشرة من كل جائزة .

وعبر داريوس القنطره مع جيشه إلى أوروبا ، بينما أمر الايونيين بدخول بونتاس والابحار إلى مدخل نهر ايستر حيث أمرهم بانشاء قنطرة على المجرى وانتظار وصوله ، وكان الايونيون والايوليان هما الشعبان اللذان شكل من رجالهما الجزء الأكبر من رجال الاسطول ، ومن ثم فبعد أن احتل الأسطول جزر سيانيان استمر فى الابحار إلى نهر ايستر

فلما وصل اليه استمر يتقدم إلى حيث يتفرع النهر . وفى تلك الأثناء كان داريوس قد عبر البسفور بواسطة المعبر الذى شيد فوقه ، وزحف عبر ثريث ، حيث ضرب معسكره ، وأقام ثلاثة أيام .

واستأنف داريوس زحفه بعد ذلك إلى نهر إيستر ، وبعد أن عبر جيشه النهر فوق المعبر الذى أقامه الايونيون ، أمرهم بتدمير هذا المعبر ، ولكن قائد الاسطول نصحه بالابقاء على المعبر وحراسته لأن الجيش سيحتاج إليه فى حالتى الفوز والهزيمة ، فهو سيحتاج إليه فى الحالة الأولى عند العودة إلى الوطن ، وسيحتاج اليه فى الحالة الثانية كوسيلة للتقهقر .

وسر داريوس بهذه النصيحة ، وأمر بابقاء المعبر .

***

حينما سمع الاسقوثيون بزحف داريوس ، أخذوا يتدبرون أمرهم .

كانوا يعلمون أنهم ليسوا على درجة من القوة تمكنهم من الصمود أمام جيش داريوس فى قتال مكشوف ؛ ومن ثم بعثوا الرسل إلى الشعوب المجاورة التى كان ملوكها قد تقابلوا معاً وأخذوا يتشاورون ماذا يفعلون إزاء زحف هذا الجيش الجرار . وكان الملوك الذين اجتمعوا هم ملوك توري، واجثايرس ، وينورى ، وأندروفاجى ، وملانشلانى ، وجلونى وبودنيين ، وسايوروماتى . وعندما أدخل رسل اسقوثيا على ملوك هذه الشعوب الذين كانوا يعقدون حينئذ اجتماعاً للتشاور قالوا لهم أن الفرس أقاموا معبرا فوق مضيق البسفور بعد أن أخضعوا بقيه شعوب القارة الأخرى . وعبروا إلى قارة أوربا حيث اخضعوا الثراسيين ، وأنهم

يقيمون الآن قنطرة على نهر ايستر وغايتهم من ذلك الاستيلاء على أوربا كلها .

وبعد أن سمع الملوك المجتمعون ما قاله رسل الاسقوثيين ، أستأنفوا التشاور . وأخيراً انقسمت آراؤهم . فقد اتفقت كلمة ملوك جلونى ، وبودينى ، وسايوروماتى على تقديم المعونة للاسقوثيين ؛ أما باقى الملوك فأجابوا على رسالة الاسقوثيين بقولهم : لو لم تكونوا البادئين بمعاداة الفرس وشن الحرب عليهم ، لأيقنا أن الرجاء الذى تتقدمون به إلينا عادل ، ولقبلنا هذا الرجاء وانضممنا لكم فى القتال . ولكنكم غزوتم أرض الفرس من قبل بغير أن تشاورونا فى الامر ، وظللتم تحكمونهم سنوات طويلة ، ومن ثم فقد جاءوا للثأر منكم ونحن لم نسئ إلى هؤلاء الرجال فى الحرب الماضية ، ولن نكون البادئين بارتكاب الخطأ الآن ، فإذا غزوا أرضنا وبدأوا يعتدون علينا فلن نسمح لهم بذلك . وفيما عدا ذلك سنظل فى بلادنا لأننا نعتقد أن الفرس لم يجيئوا لمهاجمتنا ، وإنما جاءوا لمعاقبة من سبق لهم أن أخطأوا فى حقهم .

وعندما وصل هذا الرد إلى الاسقوثيين قرروا عدم الاشتباك فى أية معارك حاسمة مع العدو والالتجاء إلى خطة التقهقر أمامه ومعهم قطعانهم على أن يردموا جميع الآبار وينابيع الماء عند تقهقرهم ويتركوا الأرض خالية من المراعى . .

* * *

عندما استقر رأى الاسقوثيين على هذه الإجراءات خرجوا لملاقاة

داريوس بعد أن بعثوا أمامهم قوات استكشاف مكونة من أسرع خيالتهم ، أما المركبات التى كانت نساؤهم وأطفالهم يعيشون فيها ، كذا جميع ماشيتهم ، فيما عدا ما كانوا بحاجة إليه منها لطعامهم، فقد سبقتهم جميعاً فى تقهقرهم بعد أن صدرت الأوامر المهيمنين على هذه المركبات بالاستمرار فى السير بدون تغيير خطة نحو الشمال .

وتبين لقوات استكشاف الايقويثين أن جيش الفرس قد تقدم بمسيرة ثلاثة أيام من نهر ايستر ، وأنهم يضربون معسكرهم من حين لآخر ويدمرون كل ما أنتجته الأرض . وما كاد الفرس يرون خيالة الاسقوثيين حتى تتبعوا أثرهم بينما أخذ العدو يتراجع أمامهم

وعندما وصل داريوس إلى الصحراء كف عن مطاردة العدو ، وأوقف جيشه عند نهر أداروس . وهناك شيد ثمانى قلاع كبيرة تبعد كل منها عن الأخرى ثمانية فورولنج ، وبينما كان منهمكا فى بناء هذه القلاع قام الاسقوثيون الذين كان يطاردهم بحركة التفاف كبيرة فوق الأراضى المرتفعة وعادوا لدخول اسقوثيا . وعندما اختفوا تماماً ، ولم يعد داريوس يرى لهم أثراً ، لم يستكمل بناء القلاع ، وعاد فانطلق غرباً ، كان يتخيل أن الاسقوثيين الذين رآهم هم شعب اسقوثيا كله وانهم لاذوا بالفرار فى هذا الاتجاه .

وأسرع داريوس فى زحفه ، واقتحم أسقوثيا ، وهناك التحم فى القتال مع فرقتين من جيش أسقوثيا وراح يطاردهما . ولكن الفرقتين الأسقوثيتين لزماخطة التراجع ، وجعلا المسافة بينهما وبين جيش داريوس

مسيرة يوم كامل . أما داريوس فراح يتتبعهما بقوة ، وهما يستدرجاه إلى أراضى الشعوب التى رفضت أن تنضم إلى أسقوثيا فى قتال الفرس ، فعانت هذه الشعوب الأمرين ، إذ هاجمها الأسقوثيون أولا ، ثم الفرس .. فلما اقترب الفريقان من أراضى شعب أجاسايارثى هددهما زعماؤه بامتشاق الحسام للدفاع عن أراضيهم ، وعندئذ اضطر الأسقوثيون إلى الابتعاد عن أراضى أجاسايارثى ، وطال أمد المطاردة وخيل أنها لن تنتهى ؛ وأخيراً أوفد داريوس رسولا من الخيالة إلى ايدانثايراثوس ملك الأسقوثيين بالرسالة التالية : « أيها الرجل الغريب .. لماذا تصر على الفرار من أمامى بينما يمكنك أن تفعل أحد أمرين بسهولة؟ إذا كنت تعتقد أنك أهل لملاقاتى ومقاومة جيوشى ، فكف عن هذا التجوال . وتعال إلى ودعنا نشتبك فى القتال . أما إذا كنت ترهب قوتى وبأسى ، فيحسن بك أيضاً أن تكف عن الفرار ، ويكفى أن تقدم لمولاك الأرض والماء وتأتى للتشاور »

وأجاب ملك الأسقوثيين على هذه الرسالة بالرسالة التالية : « تلك هى طريقتى أيها الفارس . فأنا لا أرهب الرجال ولا أهرب منهم ، ولم أفعل ذلك فى الماضى ، ولست أفعله الآن ، وليس هناك شىء غريب أو جديد فيما أفعله ، فالواقع أننى أسير الآن على النمط الذى انتهجه دائماً حتى فى أوقات السلم . وسأحدثك الآن عن سبب عدم اشتباكى معك فى القتال . إننا معشر الأسقوثيين لا نملك مدنا أو أراضى مزروعة نخاف عليها فيدفعنا هذا الخوف إلى الاسراع بخوض المعركة معك .. إذا كنت راغباً فى الالتحام بنا سريعاً فأصغ إلى . هناك مقابر كثيرة دفن فيها

آباؤنا ، فابحث عنها وحاول التورط مع الجثث التي بها وعندئذ سترى هل ستتبرى لمقاتلك أم لا ،فالى ذلك الحين لن نشتبك معك فى القتال إلا حينما يحلو لنا ذلك .. تلك هى اجابتى على تحديك لنا بالقتال أما أنت فلن تكون يوما سيدى . وأما الجزية التى تطلبها فلن تحصل عليها منى ، لانني أنا الذى سأحصل على الجزية منك ، وأخيراً دعنى أقول لك يامن تطلق على نفسك لقب «سيد» (إذهب وابلك) ..

وفى تلك الاثناء قرر الاسقوثيون الكف عن محاورة الفرس فى شتى انحاء بلادهم ، والاكتفاء بالانقضاض عليهم كلما جلس الجنود لتناول طعامهم . وبالاخص لأنهم جميعاً فرسان يستطيعون (الضرب والجرى) بسهولة . .

وفعلا نفذ الاسقوثيون هذه الخطة ، فكانوا ينقضون على الفرس وهم جلوس يتناولون طعامهم ، فيشيعون بينهم الفوضى ، ويقتلون منهم من يقتلون ، وقبل أن يتمكن الفرس من امتشاق الحسام يكون الفرسان الاسقوثيون قد اختفوا عن الانظار

وعندما تبين للاسقوثيين أن الفرس بدأوا يفزعون ،بدأوا يتخذون خطوات فعالة لحفزهم على عدم الجلاء عن اسقوثيا حتى يمكنهم اصابتهم باضرار أشد جسامة حينما تبدأ مؤنهم فى التناقص والتلاشى،ولهذا عمدوا إلى ترك بعض ماشيتهم فى المراعى ، والانسحاب بعيداً حتى إذا ماجاء الفرس للاستيلاء عليها،انقضوا عليهم بغتة كالاعصار واعملوا فيهم القتل .

ولقد كرر الاسقوثيون هذه الخدمة حتى بدأ صدر داريوس يضيق.

وإذ أدرك امراء اسقوثيا ذلك ، بعثوا برسول إلى معسكر الفرس ليقدم الهدايا التالية لداريوس : طائراً ، وجرذاً، وضفدعة ، وخمسة سهام. وسأل الفرس الرسول فى معنى هذه الهدايا ولكنه قال أن الأوامر التى لديه تقضى بتسليم هذه الهدايا فقط والعودة بأقصى سرعة ، فإذا كان الفرس اذكياء فإن فى استطاعتهم أن يستشفوا معنى الهدايا .

وعقد كبار زعماء الفرس اجتماعاً وراحوا يتشاورون فى الأمر .

قال داريوس أنه يعتقد أن معنى هذه الهديا أن الاسقوثيين يعتزمون تسليم أنفسهم له ، لأن الجرذ يعيش فى الأرض ويتناول نفس الطعام الذى يتناوله الإنسان ، بينما تقضى الضفدعة حياتها كلها فى الماء ، ويشبه الطير الجواد شبها كبيراً . أما السهام فقد تعنى تسليم جيشهم . . ولكن جوبراياس ، وهو أحد السبعة الذين تآمروا على ماجوس ، عارض رأى داريوس وقال له إنه يرى أن معنى هذه الهدايا كالآتى : مالم تتحولوا ، معشر الفرس ، إلى طيور تستطيع الطيران ، أو تصبحوا جرذانا تحفر لها جحورا فى الأرض تهربون بداخلها ، أو أن تنقلبوا ضفادع تختفى تحت الماء . فانكم لن تستطيعوا الافلات من هذه الأرض . ولكنكم سوف تموتون بسهامها » .

الخاتمة

التراجع من اسقوثيا

بعد أن أرسل الاسقوثيون هداياهم إلى الفرس . بدأ جيشهم ينتظم في صفوف قتال في مواجهة الفرس ، وخيل أنهم يستعدون للالتحام معهم في القتال ، إلا أنه حدث في تلك اللحظة أن أنطلق أرنب برى كبير في المسافة التي تفصل بين الجيشين . وما كاد بعض الاسقوثيين يرونه ، حتى اندفعوا لمطاردته . فأحدث ذلك جلبة وضوضاء عاليتين ، وعندما سمع داريوس الجلبة . استفسر عن سببها ، فقيل له أن الجيش الاسقوثي كله منهمك في مطاردة أرنب برى . فتحول إلى من كانوا معه من قواده وقال لهم : « إن هؤلاء القوم يحتقروننا تماماً ، وعندى أن تفسير جوبراياس لمعنى الهدايا صحيح . ولهذا أرى أن الوقت قد حان لوضع خطة حكيمة تمكننا من العودة إلى وطننا سالمين . » وسر جوبراياس لما طرأ على موقف داريوس من تغيير . وقال له : « لقد كنت واثقاً يامولاى إننا قادمون إلى سباق غير عملى . وها أنت ذا ترى أنهم يحاوروننا ويتلاعبون بنا . ومن ثم فإن نصيحتى هى أنه، عندما يرخى الليل سدوله نترك خلفنا الجنود المرضى ومن لافائدة فيهم ، ومعهم الحمير لتحدث ضوضاء توهم العدد بأننا لانزال فى معسكرنا ، ثم ننسحب بالجيش من

هنا قبل أن يتمكن العدو من سبقنا إلى نهر ايستر وتدمير المعبر ، أو يضيق الايونيون بتأخرنا فيدمرون القنطرة فيؤدى ذلك إلى هلاكنا .

وعندما جاء الليل عمل داريوس بنصيحة جوبراياس؛ فبعد أن ترك الجنود المرضى فى المعسكر وكذلك الذين لن يضيره التخلى عنهم ومعهم الحمير أمر باشعال نار المعسكر كالمعتاد ، وطلب من الجنود الباقين حراسة المعسكر قائلا لهم أنه ذاهب ببقيــة الجيش للانقضاض على الاسقوثيين والالتحام معهم فى معركة فاصلة . .

وخرج داريوس بجيشه من المعسكر وزحف على عجل نحو نهر أيستر . وعندما شعرت الحمير برحيل الجيش بدأت تنهق بصوت ملأ الدنيا صخباً . وحينما سمع الاسقوثيون هذا النهيق ، ورأوا نيران المعسكر اطمأنوا إلى وجود الفرس فى مكانهم .

إلا أنه ما كاد الفجر ينبثق حتى أيقن الجنود الذين خلفهم داريوس خلفه أنهم خدعوا فخرجوا من معسكرهم وتقدموا نحو الاسقوثيين وهم يمدون أيديهم أمامهم ويمطرون داريوس بوابل من اللعنات .

وما كاد العدو يعرف ماحدث حتى خف لمطاردة جيش الفرس . .

ولكن هيهات . .

فقد استطاع الفرس أن يصلوا إلى القنطرة بسلام ، فعبروها . ثم دمروها بعدهم .

وركب الجيش الفارسى سفنه ، وكر عائداً إلى بلاده بعد هذه المغامرة الفاشلة . . .

[انتهى]

هيئة قنــاة السويس

مناقصة عامة

تطرح هيئة قناة السويس فى مناقصات عامة منفصلة كلا من العمليات الاتية :

١ ـ عملية انشاء كوبرى متحرك يتكون من ست فتحات ثابتة من الخرسانة المسلحة على خوازيق خرسانية مسلحة وفتحتين متحركتين من الحديد وذلك على الخور المقابل لمدينة بور توفيق ليصل طريق الهيئة الجديد ببورتوفيق .

٢ ـ عملية انشاء مدرسة خاصة للهيئة ببور فؤاد

٣ ـ عملية انشاء ارصفة غير عميقة بطول ثلاثة كيلو مترا من الستائر اللوحية ببور فؤاد .

٤ ـ عملية انشــاء مبانى للارشاد اللاسلكى بالقنطرة غرب وكبريت وبور توفيق .

ويمكن الحصول على المستندات الخاصة بأى من هذهالعمليات بالحضور شخصيا الى مقر الهيئة بالإسماعيلية (قسم التخطيط والابحاث) وذلك نظير دفع مبلغ عشرين جنيها لكل من العمليتين الاولى والثانية ومبلغ ثلاثين جنيها للعملية الثالثة ومبلغ خمسة جنيهات لكل مبنى من المبانى الثلاث بالعملية الرابعة

وتقدم العطاءات باسم السيد رئيس هيئــة قنــاة السويس بالاسماعيلية (قسم التخطيط والابحاث) فىميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم :

ـ الاثنين ١٩٦١/٥/٨ للعمليــة الاولى مصــحوبة بتــأمين ابتدائى قدره ١٩٠٠ ج .

ـ الاربعاء ١٩٦١/٤/١٩ للعمليةالثانية مصحوبة بتأمينابتدائى قدرة ٥٠٠ ج .

ـ الاثنين ١٩٦١/٥/١ للعملية الثالثة مصحوبة بتامين ابتدائى قدره ٢٥٠٠ ج .

ـ الاثنين ١٩٦١/٤/٢٤ للعمليــة الرابعــة مصــحوبة بتأمين ابتدائى قدره ١٠٠ ج عن كل مبنى من المبانى الثلاثة .

ولن يلتفت لاية عطاءات تقدم بعد المواعيد المحددة اعلاه او غير مصحوبة بالتامين الابتدائى المشار اليه .

روايات عالمية

تقدم صباح السبت القادم
السبت ٨ ابريل سنة ١٩٦١



مأساة غراميه

بقلم الكاتب الالماني الكبير
جان ولفانج جيته

ترجمة
الاستاذ عمر عبد العزيز ا

الكتاب ٩٤ الثمن

صدر يوم الخميس ٦ ابريل (نيسان) ٦١
الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة